مصطفى النجار

سـرائـرُهم

رواية

obeikan.com

الكتـــــــاب: سرائرهم
المـــؤلـــــف: مصطفى النجار
تصميم الغـــلاف: إسلام مجاهد
المراجعة اللغوية: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

رقـــم الإيـــداع: 2016 / 15275
الترقيـم الدولـي: 978 - 977 - 779 - 119 - 9
الإخـراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

جميع الحقوق محفوظة

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع، أو نشر دون موافقة قانونية مكتوبة يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالمؤلف فقط لا غير.

العنوان: 40 ش محمد فريد، وسط البلد، القاهرة
هاتف: 0227931911 - موبايل: 01001631173
الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com
البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

obeikan.com

مصطفى النجار

سـرائـرُهم

رواية

obeikan.com

obeikan.com

إهداء

إلى مصدر البهجة في حياتي . . إلى ابنتي الغالية (ديما)

obeikan.com

obeikan.com

في يوم الاثنين الموافق الثالث والعشرين من شهر سبتمبر ٢٠١٣ قضت محكمة القاهرة للأمور المستعجلة بعابدين بحظر تنظيم جماعة الإخوان المسلمين والتحفظ على أموالها ومقراتها وممتلكاتها وذلك في الدعوى المقامة من أمانة حزب التجمع والتي أقامها محمود عبد الله المحامي وعضو أمانة الحريات بالحزب، وقد صدر القرار برئاسة المستشار محمد السيد.

كان الحكم عقب أحداث فض اعتصام مؤيدي الرئيس المعزول محمد مرسي في الرابع عشر من شهر أغسطس ٢٠١٣ والذي دام لخمسة وأربعين يوما في ميدان رابعة العدوية بالقاهرة وميدان النهضة بالجيزة، وما تلاه ذلك من أعمال عنف تسببت في حرق واحد وعشرين قسم شرطة وأربع كنائس وهو ما دفع الرئيس المؤقت عدلي منصور لفرض حالة الطوارئ لمدة شهر وحظر التجول في عدة محافظات مصرية ابتداء من الساعة التاسعة مساءً وحتى الساعة السادسة صباحًا.

obeikandl.com

(١)سعيد الفقي

لم تكن مساكن حجازي القديمة بشبرا الخيمة تعرف للهدوء سبيلا . . أن تسكن في منطقة تتوسط المسافة بين المحكمة ومركز الشرطة الذي يقف شامخا إلى جوار مجلس المدينة وسط أسواره الجديدة التي تشبه بتلات أزهار اللوتس المانعة للتسلق والاقتحام وفي نفس الوقت تطلب هدوءا فأنت إذا تبحث عبثا عن المستحيل الرابع!

وليس بالشيء الغريب على الإطلاق أن تسمع بين وقت وآخر ضوضاء يَصدر عن شجار محتدم بين سكان المنطقة . . فذلك أمر روتيني متكرر برتابة شبه يومية، تعتاده كشروق الشمس وغروبها، وكانقطاع الكهرباء الدائم وعودتها المؤقتة أيامها فلا يثير ذلك في نفسك أي ضيق أو حنق. . !

لكن الغريب والذي أثار دهشة من تثنى لهم حضور هذا المشهد الفريد، هو أن يكون أحد طرفي الشجار هو سعيد الفقي بشحمه الذي يزن أطنانا ولحمه!

من هو سعيد الفقي ؟!

ما من أحد في منطقة مساكن حجازي القديمة أو ما حولها لا يعرف عم سعيد الفقي الذي يسكن معهم بالمنطقة منذ خمس سنوات . . هذا الرجل البدين كالدببة القطبية بشاربه الرفيع للغاية الذي يعلو شفتيه كطابور من النمل شديد الانتظام وبنظارته ذات العدسات السميكة للغاية المشهورة وسط العامة بطراز

"كعب الكوب" والتي تجعل من عينيه نقطتين سوداوين تتوسطان العدسة. . لا يرجع إلى شقته التي يعيش فيها وحيدا إلا بعد منتصف الليل كي يتحصل على ساعات قلائل من النوم قبل الذهاب صباحا إلى عمله بمجلس المدينة. . يعشقه ويعشق جلسته وحضرته كل سكان المنطقة. . هذا الرجل الذي لا يكف عن السخرية من كل شيء وأي شيء بما في ذلك كرشه السمين الذي يتدلى مع دهونه وشحومه في كسل. . يحفظ مجلدات من النكات الجنسية تجعل من حوله ينفجرون في موجات من الضحك الهستيري يكاد يهلكهم، فيمسك هذا ببطنه التي تكاد أن تتمزق أحشائها من كثرة الضحك الذي يكاد أن يميت قلبه النابض، ويسقط آخر على الأرض يتقلب وسط التراب لا يقوى على أن يتمالك نفسه. . ويكتمل المشهد بأحدهم وقد فشل في التحكم في بعض عضلاته فتغلبه انتفاخات أمعائه من أثر علبة الكشري التي كانت غداءه فيخرج ريحا صرصرا عاتية بصوت فرقعة كانفجار قنبلة بدائية الصنع لا يصلح لها خبراء المفرقعات فتبدأ الموجة الثانية من الضحك والتي لا تنتهي إلا بانقطاع الأنفاس !

ثم تأتي سيرة الزواج أو الموت فتجد سعيد الفقي يتحدث عن زوجته التي فارقت الحياة إلى بارئها قبل عشر سنوات وقبل أن يأتي من المنصورة للسكن بمساكن حجازي القديمة وذلك على أثر حادث مروري مروع لم يتوصلوا إلى مرتكبه اللعين النذل الهارب حتى الآن . . يتحدث بتأثر بالغ عن زوجته وجنينها الذي رحل معها قبل أن يكمل شهره الخامس فيبدأ في البكاء والنشيج فيحاولون جميعا تهدئته وقد بلغ التأثر بهم مبلغه واغرورقت أعين أُقساهم قلبا بالدموع !

عم سعيد الفقي صانع البهجة تاجر السعادة الحقيقي . . من لا يعرفه ؟!

هذه الخلطة المتكاملة جعلت منه في غضون خمس سنوات نجم المنطقة الأول والذي يعرفه جيدا كل من يسكن بمساكن حجازي القديمة وما حولها . . خمس سنوات كانت كافية للغاية لأن يثق به الأهالي ويعدّونه فردا إضافيا في أسرة كل واحد منهم، وقد نجح ببراعة في تحقيق ذلك مثلما سعى ومثلما اعتاد في أي منطقة يسكنها.

ضحكاته المجلجلة لن تعطيك الفرصة أبدا للتدقيق في الوحمة الزهرية اللون التي تغطي نصف جبهته وساعده الأيمن. . يقول أن الحاجة أم سعيد يرحمها الله ويغفر لها إنجابها لهذه الكارثة التي ستودي لهلاك البشرية والمتمثلة في شخصه كانت تقول أنها توحمت على فاكهة (الكاكا) ولكن الحاج محمود الفقي أبوه كاد أن يرمي عليها يمين الطلاق لأنه لم يكن يعرف بعد أن (الكاكا) أصبحت فاكهة!

أنت ظالم لنفسك قاسي القلب لا تعرف الرحمة إن شعرت لحظة بالنفور منه بسبب وحمة بجسده من يوم ولادته، وتمنعت ذاتك الآثمة على أن تأسرها روحه البريئة النقية التي لم تتلوث بعد بآثام البشر!

ولكن ما هو سبب هذا الشجار ؟!

إحقاقا للحق، لم يكن سعيد الفقي كما يعلن للجميع يشعر بأي نوع من أنواع الراحة تجاه جاره الذي يسكن الشقة المجاورة، هذا الأعزب الذي يحيطه الغموض ولا يعرف أحد له أصلا من فصل!

-الشيء الوحيد الذي أشعر بالندم عليه طوال حياتي أني لم أستمع لنصيحة

الحاجة أم سعيد البركة وأختر الدار قبل الجار!

هكذا يعلنها سعيد الفقي أمام الناس مقرا بخطئه ليل نهار مظهرا غير مبطن لحقيقة مشاعره تجاه جاره في الشقة المقابلة، هذا الرجل الذي سبق سعيد الفقي في السكن بذات العمارة بخمس سنوات كاملة.

من هو؟

لا أحد يستطيع أن يجزم أنه يعلم شيئا محددا عنه. . حتى اسمه يختلف عليه أهل المنطقة!

البعض يقول أنه رشدي . .

آخرون يقولون أنه عماد. .

سعيد الفقي يقسم برحمة أبيه بأنه قد أخبره ذات مرة بعد إلحاح أنه رشاد، وفي مرة ثانية نتيجة إلحاح أكثر لزوجة من سعيد الفقي أضطر معه أن يخبره بلقب العائلة. .

رشاد البسيوني. .

لو كانت الدولة تحصّل الضرائب على كلام الشعب لما كان هذا الـ(الرشاد) بهذا البخل!

ملامحه تكاد تكون عادية للغاية. . ليس بها شيء مميز سوى بشرته الناصعة البياض للغاية. . سعيد الفقي يقسم برحمة أبيه بأن أمه – أم رشاد البسيوني – لا شك ولا جدال أنها إحدى الراقصات الروسيات من اللاتي تزوجن من مصري

obeikan.com

مجبرة كي يصحح خطأه معها . . لكن الغالبية العظمي من التعداد السكاني الكثيف لمساكن حجازي القديمة تكاد تجمع على أنه أغلب الظن من الإسكندرية بسبب هواء البحر المشبع بأملاح اليود . . هذا اللون البني الذي يميز شعره ولحيته الخفيفة لابد أن يكون بسبب هواء الإسكندرية. . الأمر لا يدع مجالا للشك لديهم!

أما ما يثير استفزاز أهل المنطقة فهو ملابس رشاد البسيوني الشاذة نسبيا. . جميع ملابسه بنصف كم صيفا وشتاءا وليلا ونهارا! . . سعيد الفقي يهمس لمن حوله مرتجفا حاقدا في ليالي الشتاء القاسية البرودة بأن هذا الرجل لابد قد تم إخصاؤه على يد أحد البلطجية في سن الطفولة بعدما استدرجه إلى الزراعات في برج العرب فلم يعد يشعر بالحر أو بالبرد. .

-يا عم سعيد اتق الله، هو فيه زراعات في برج العرب!

-يعني هو البغل هذا كان في يوم من الأيام عيل يا ذكي منك له؟!

يرد سعيد الفقي مشيرا بسبابته المكتنزة إلى أعلى أذنه دليلا على ذكائه وعبقريته وفطنته، فينفجر من حوله في نوبات هستيرية من الضحك. . فيعود سعيد الفقي ليؤكد أن كلامه عن إخصاء رشاد البسيوني هذا صحيح مائة بالمائة بدليل أنه لم يتزوج حتى الآن أو على الأقل لم يستدرج يوما الفتيات الغافلات أو العامدات إلى شقته، ويا ليته فعل!

كان سعيد الفقي لحاجة في نفسه يترقب ويترصد أن تأتي هذه الفرصة إليه على طبق من ذهب فيستغلها لفضح رشاد البسيوني فضيحة الفسيخ في السوق

ويشهّر به ويحشد أهل المنطقة جميعهم لينفذوا فيه القصاص الشعبي العادل بإعدامه ضربا بالقباقيب ليأخذ رشاد البسيوني مكانه في التاريخ إلى جوار شجر الدر. .

ولكن للأسف الشديد لم يمنحه رشاد البسيوني يوما تلك الفرصة!

ولكن لم يكن كل ما سبق سببا في الشجار الذي نشب بين سعيد الفقي ورشاد البسيوني !

فالحقيقة أن كثيرا ما حاول سعيد الفقي أن يجعل من نفسه ضيفا بالقوة على رشاد البسيوني . . حاول ذلك أكثر من مرة ولكن رشاد البسيوني اللعين لم يعطه يوما الفرصة متعللا كل مرة بعذر مختلف . . كان سعيد الفقي كما يقول يعد ذلك تقليلا من شأنه واحتقارا واضحا لشخصه وهو المرحب به بشدة في أي شقة في أي عمارة يتمناها من عمارات مساكن حجازي القديمة وما حولها. .

في ذلك اليوم المنشود قرر سعيد الفقي أن يدخل شقة رشاد البسيوني، وإن لم يكن برضاه فلسوف يكون ذلك رغم أنفه . . هو شخص مريب لا جدال ولابد له من دخول شقته . . لقد بلغ السيل الزبى ولم يعد في قوس الصبر منزع، خمس سنوات يضع رشاد البسيوني تحت المجهر وهي فترة كافية للغاية . .

ماذا قد يكون بداخل هذه الشقة ؟! . . إن لم تكن شكوك سعيد الفقي في محلها، فعلى الأقل هناك مصائب أخرى يخفيها رشاد البسيوني، ويسأل سعيد الفقي نفسه . .

هل يتاجر رشاد البسيوني في المواد المخدرة ؟

أم تراه يتاجر في الأسلحة ؟؟

سوف يدخل ويكتشف بنفسه كل شيء، ولسوف يجد بالداخل على أقل تقدير ما يتخذه ذريعة لطرد هذا الجار الغامض الذي لم يعد يطيقه بأي حال من الأحوال.

يومها انتظر سعيد الفقي كثيرا جالسا على السلم أمام شقته منتظرا عودة رشاد البسيوني . . مرت ساعتان وهو على هذا الحال ولم يفت هذا من عضده. . لم يشعر على الإطلاق بملل بعدما أشقاه الفضول حتى وصل رشاد البسيوني أخيرا !

-حمدا لله على السلامة يا أستاذ رشاد.

-الله يسلمك يا أستاذ سعيد.

رد عليه رشاد البسيوني في اقتضاب متأدب وأولاه ظهره ليفتح باب شقته. .

-باب شقتي مقفول. . المفاتيح ضاعت بعيد عنك. . قاعد من أكثر من ساعتين على السلم منتظر النجار ابن الذين يكسر لي باب الشقة.

-يصل بالسلامة إن شاء الله يا أستاذ سعيد.

هذا الرجل لا يعطي أي فرصة لسعيد الفقي كي يسترسل في حديثه. . هذا نوع من الرجال لا ينفع معه الذوق ولا تصلح معه اللياقة مثلما حدث سعيد الفقي نفسه. . لذا نهض سعيد الفقي في سرعة ليلحق برشاد البسيوني قبل أن يغلق باب شقته في وجهه ووقف بالباب محاولا اختلاس النظر لداخل الشقة وقد حشر كرشه في فرجة الباب مانعا إياه من الانغلاق. .

-ما الذي جرى يا أستاذ رشاد . .حسبتك تدعوني للانتظار في شقتك يا أخي

obeikan.com

حتى يأتي النجار، أنت يا عم عيب عليك بدلا من القعدة على السلم ولا الولية المطلقة. .

-اعتذر لك بشدة والله يا أستاذ سعيد ولكني مرهق جدا جدا. .

قالها رشاد البسيوني محاولا إغلاق الباب في وجه وكرش سعيد الفقي، ولكن الأخير استشعر شدة الإهانة من شخص يفترض أن يصغره بعشر سنوات على أقل تقدير، فازداد ضغط دماءه على عروقه التي ضيقها الكولسترول من الداخل واعتصرتها الدهون ضاغطة بقوة من كل جانب من الخارج، وتسارعت دقات قلبه فاحتقن وجهه بالدماء في غضب عارم، فدفع الباب بقوة فجأة حتى كاد أن يسقط رشاد البسيوني أرضا ولكن الأخير تمالك نفسه واستعاد زمام المبادرة مهاجما لا مدافعا دافعا سعيد الفقي وكرشه ودهونه بقوة لخارج الشقة مغلقا الباب في وجهه بقوة.

سعيد الفقي يبدو كديناصور فار من مستشفى المجانين ينهال على باب شقة رشاد البسيوني بالركلات والخبطات ولا يكف عن إطلاق سباب فاحش قبيح يطعن في نسب رشاد البسيوني وفي شرف أمه وعائلته محاولا قدر الإمكان من مكانه في مساكن حجازي القديمة أن يسمع الموتى الراقدين بسلام وهدوء في قبورهم في صعيد مصر!

-لا تضطرني إلى قلة الأدب. . أنت راجل كبير. .

كان رشاد البسيوني يكتفي من خلف بابه بترديد هذه الجملة وكأنها رسالة مسجلة ردا على سعيد الفقي، والأخير مستمر في سبابه الفاحش القبيح يطعن في نسب

رشاد البسيوني وفي شرف أمه وعائلته وقد شجعه أهل المنطقة الذين تجمعوا في ثوان معدودة ليشاهدوا عم سعيد الفقي في لحظاته النادرة والحصرية وهو غاضب حانق هائج ثائر يغلي كبركان مستغرقا في وصلة من السباب الفاحش القبيح يطعن في نسب رشاد البسيوني وفي شرف أمه وعائلته، سباب تطرب له بعض آذان المصريين. .

من هذا الأحمق الذي أيقظ هذا البركان الخامد !

من هذا الأحمق الذي دخل كهف التنين الكاسر بإرادته وأيقظه من سباته !

من هذا التعس سيء الحظ الذي قرر إزعاج الدب القطبي وإخراجه من بياته الشتوي!

كان يبدو للجميع أن سعيد الفقي لن يتوقف عن سبابه الفاحش القبيح طاعنا في نسب رشاد البسيوني وفي شرف أمه وعائلته إلى يوم القيامة. . أهل المنطقة جميعا يحبونه ودون دراية بالتفاصيل قطعا يدعمونه ويظنون بأن معه حق. . بل كل الحق!

لو دعاهم سعيد الفقي لمظاهرة في ميدان التحرير تنديدا بما فعله رشاد البسيوني لتحولت لمليونية غضب!

الجيران يتهامسون ويتلامزون عن رشاد البسيوني الغامض فلابد أن هذا الوغد الانطوائي اللعين قد استفز عم سعيد الفقي الملاك البريء تاجر السعادة. . هذا الجيل الجديد لم يتلق أي نوع من التربية، لا يحترم كبيرا ولا يوقر صغيرا !

-اعتبره أباك يا أخي !

obeikan.com

صاح بها في غضب أحد الجيران ليُسمع رشاد البسيوني من وراء الباب محاولا تهدئة سعيد الفقي وإدخاله إلى شقته وقد نسى الأخير في شدة غضبه وانفعاله وهياجه الأكذوبة التي أدعاها عن فقده للمفتاح وقد أخرجه من جيبه دون وعي ليتطوع أحد الجيران المتجمهرين بفتح شقته وإدخاله وهو على نفس حاله مستمرا في سبابه الفاحش القبيح طاعنا في نسب رشاد البسيوني وفي شرف أمه وعائلته . . شحنة أربعة عقود أو يزيد من الغضب قرر سعيد الفقي أن يستهلكها دفعة واحدة في هذا اليوم حتى وإن أحرقت فتيل أعصابه!

* * *

رشاد البسيوني ارتكب جريمة لا تغتفر !

كيف وسوس له شيطانه أن يطالب بحقه في بعض من الخصوصية في وطن لا يعترف أغلب شعبه بهذا الحق على الإطلاق ؟؟!

كيف وسوس له شيطانه أن يستعدي شخصا لديه حصانة من حب جميع المحيطين به في وطن يستغل أغلب شعبه أي حصانة كانت أسوأ استغلال؟!

كل ما كان يفعله رشاد البسيوني في حياته هو أن يبتعد عن السير إلى جوار الحائط ليمشي متخفيا داخل الحوائط!

لم يتسبب في ضرر لأحد، كما لم يسع يوما لجلب منفعة لآخر. . كل ما كان يطلبه هو أن يترك وشأنه !

أن يعيش صفرا لا وجود له !

* * *

obeikan.com

عندما جلس سعيد الفقي مع زملائه من العجائز على مقهى العدل تلك الليلة لم يكن يجلس معهم تماما. . !

الجميع يرونه جالسا بالفعل بجسده معهم، ولكن عقله كان في مكان آخر بعيد منشغل بالتفكير في كيفية الانتقام من رشاد البسيوني اللعين هذا، انتقاما لابد أن يكون موجعا . . كيف تجرأ وعامله بهذه الطريقة التي زادت من شكوكه تجاهه . . سيجعله يشعر بالندم الشديد ويلعن اليوم الذي أنجبته فيه أمه الراقصة الروسية التي تزوجت من مصري مجبرة كي يصحح خطأه معها!

لم يكن قد مضى كثير من الوقت على فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة، ولم يكن قد مضى شهر على الحكم بحظر جماعة الإخوان المسلمين . . المزاج العام السائد آنذاك هو شيطنة الإخوان المسلمين . . تناسى الجميع في زمرة الأحداث أن لهم ما لهم وعليهم ما عليهم . . ولكن الأمور لم تكن تسير بشكلها الطبيعي على الإطلاق في ذلك الحين . . الإعلام اتسم بالمبالغة الشديدة المتعمدة . .

انقطاع الكهرباء من تدبير الإخوان المسلمين . . دراجة اصطدمت بسيارة فلابد أن هذا من خبائث تدبيرهم . . ارتفاع درجات الحرارة لهو مؤامرة إخوانية مدبرة . . لو أن كلبا مارس الرزيلة مغتصبا قطة في الشارع لسوف يروج الإعلام بأن هذا الكلب من الإخوان المسلمين! . . لن تستطيع حينها أن تثبت عكس ذلك وستضطر للصمت كي لا تتوجه إليك النظرات المتشككة غير العابئة بكونك منصفا أو موضوعيا!

Opelkan.com

كان سعيد الفقي بحكم كونه موظفا بمجلس المدينة له أصدقاء عديدين من المخبرين وأمناء الشرطة بحكم الجيرة . . فاختمرت المكيدة في رأس سعيد الفقي الضخمة بأن يسلط أصدقاءه هؤلاء على رشاد البسيوني وقد قرر أن يشي لهم كذبا بأن رشاد البسيوني من أهم كوادر الإخوان المسلمين الفارين من فض الاعتصام والمتوارين بعيدا عن أعين الأمن، وأنه يقوم بتخزين كميات مهولة من الأسلحة والذخائر والمتفجرات بشقته والتي يديرها بالطبع لعقد اللقاءات التنظيمية السرية لرفاقه من كوادر الجماعة المحظورة الهاربة من فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة والتي لم تتمكن بعد من الهروب خارج البلاد لجنتهم على الأرض وملاذهم الآمن تركيا وقطر.

هو على استعداد تام في هذه اللحظة لأن يدفع نصف عمره كثمن بخس لدخول شقة رشاد البسيوني، ولسوف يتكفل الإبلاغ عنه بإبعاده عن الشقة كي يتمكن من دخولها . . لسوف يعتقلونه ويبيت لديهم ليلة وضحاها فتكون الفرصة سانحة له لينقب على مهل في الشقة باحثا عن خفاياها.

هذا الوغد رشاد البسيوني قليل الأدب ووقح ويستأهل العقاب القاسي على الأقل لغموضه . . حلال فيه ما سيلاقيه. .

إذا، خير البر عاجله . . أخرج سعيد الفقي هاتفه المحمول الذي لا يكاد يظهر بين طيات راحته السمينة وترك زملاءه مغادرا المقهى كي لا يسمعه أحد واتصل بصديقه الصدوق فتحي السلاموني طالبا مقابلته على وجه السرعة لأمر هام لا يحتمل أي تأجيل أو تأخير، ولم يكذب فتحي السلاموني خبرا وأخبره أنه سيقابله على المقهى في خلال نصف ساعة على الأكثر.

(٢) فتحي السلاموني

فتحي السلاموني هو من طراز المخبرين الذين تظن معهم أن هناك مصنع ينتجهم بالدستة! . . الشارب الكث الذي يوحي بقسوة لا رحمة فيها. . كرش متهدل يحتل ثلثي جسده الضخم . . قضى أغلب عمره بقسم أول شبرا الخيمة واستقر بذات المدينة منذ عقود لتنقطع صلته بقريته بقليوب . . عاش عقودا متمتعا بكل السلطة والنفوذ اللا متناهيين اللذين يتمتع بهما أي فرد يعمل بجهاز الشرطة وقد استغل ذلك قطعا أسوأ استغلال، حتى جاءت ثورة الخامس والعشرين من يناير لتسلبه سلطته ونفوذه وتتركه عاريا حتى كاد في بعض الأحيان أن يخرج إلى الشارع متخفيا وراء نقاب . . أنقذه قدره من الحريق الذي التهم القسم أيام الثورة ونجا بأعجوبة من أن تفتك به أيدي الثوار المحتشدين المتجمهرين الثائرين أمام القسم!

حينها فقط تذكر وهو في الخامسة بعد الخمسين من عمره أن تلك فرصة أخرى وأخيرة من الله عز وجل كي يعلن توبته النصوح عن كل ما فعله طوال حياته وأن يتوب إلى الله توبة نصوحا، وأن يرجع إلى الله وأن يندم على ما قدمت يداه في الأيام الخالية عازما ألا يعود إلى ما كان عليه أيامها أبدا. . هي رسالة صريحة قد وصلته واستقبلها متفهما . . اقترب أكثر من الله . . أصبح يصلي الصلوات الخمس في المسجد قدر الإمكان وداوم على ذلك فترة ليست بقصيرة حتى

نبتت في جبهته زبيبة المصريين المميزة من أثر السجود. . أصبح يصوم أغلب شهر رمضان. . امتنع تماما عن تلقي أي نوع من أنواع الرشوة إلا لو كانت في صورة هدية. . والنبي عليه أفضل الصلاة والسلام قد قبل الهدية. . أفلا يقبلها فتحي السلاموني عملا بسنة رسول الله من وجهة نظره !

عندما اتصل سعيد الفقي بفتحي السلاموني لم يشأ الأخير أن يتأخر عليه . . فتحي السلاموني كان قد سمع من خطيب الجمعة في يوم ما – عله الثلاثاء – عن فضل قضاء حوائج الناس، وأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، وأن من سعى في قضاء حاجة أخيه كان له أجر الاعتكاف في المسجد الحرام أو المسجد النبوي أو في مسجد الحسين عشرين سنة أو شيء من هذا القبيل وهو لم يجرب قط حلاوة الاعتكاف بالمساجد . . خلاصة الأمر أن من يسعى في قضاء حاجة أخيه له أجر عظيم للغاية. . هذا ما يتذكره. . إذا فليسع في قضاء حوائج إخوانه، وفتحي السلاموني يعتبر سعيد الفقي لاشك كأخيه.

جلس فتحي السلاموني بجوار سعيد الفقي بمفردهما في أحد أركان المقهى وأمامهما أكواب الحلبة يدخنون المعسل ويطمئنان على أخبار بعضهما ويتحدثان قليلا عن البلد التي لم تعد كما كانت. . ولكن استشعر فتحي السلاموني منذ البداية بحسه الأمني الذي أثقلته السنون أن سعيد الفقي ليس على ما يرام، ليس هذا سعيد الفقي الذي يعرفه والذي لم تكن تغيب البسمة عنه حتى وإن ارتكبت الكبائر وانتهكت المحارم، وقد تذكر فتحي السلاموني حديث صديقه عن كشوف العذرية أيام ثورة الخامس والعشرين من يناير سعيدا ساخرا حاسدا حاقدا على الضباط الذين سنحت لهم الفرصة بالاستمتاع بمشاهدة عورات

البكارى مجانا!

-مالك يا سعيد يا أخي ؟! . . خير، قلقتني عليك؟!

-جاري ابن المرة (صفة تعني الخرقة البالية التي تستخدمها النسوة في المطبخ) يا فتحي يا أخي. .

-ما له ابن (وصف لأم جاره يتهمها بالبغاء) ؟! . . أحك لي. .

ودخل سعيد الفقي في صميم الموضوع مباشرة. . لم يخبره بالطبع عن القصة الحقيقية. . أخبره أن رشاد البسيوني اللعين يتعمد وضع القمامة يوميا أمام باب شقته، وأنه قد لامه معاتبا أكثر من مرة، ولكن هذا الوغد اللقيط لا يعيره اهتماما ولا يظهر له احتراما، حتى أنه في المرة الأخيرة تطاول عليه بالسباب الفاحش وسب أمه وأباه. . وهو قد يصبر على مجاورة واحد أخواني لزج بارد قليل الذوق منعدم الاحترام ولكنه لن يحتمل أن يسب أباه وأمه الحاجة أم سعيد في قبريهما. .

-عيب على ذقنه. . يعمل احترام للحيته على الأقل!

لكن فتحي السلاموني كان قد توقف به الزمن عندما اتهم سعيد الفقي جاره بأنه إخواني، ولم يبد أنه قد استمع لبقية الجملة ليعتدل في جلسته سائلا في توعد. .

-هو إخوان يا سعيد ؟!

-آخ يا أبا داليا. . أنا ساكت ولا أتكلم. . الشك يقتلني يا فتحي يا أخي . . ناس يحضرون له في نصف الليل كل ليلة. . وأحيانا يحضر معه كراتين الله وحده

يعلم ما بداخلها !

كان فتحي السلاموني - أو (أبو داليا) مثلما يناديه المقربون - لديه حساسية نفسية تسبب حكة في قاع جمجمته وتطلق الفئران لترتع وتلهو في صدره من الإخوان المسلمين!

كانت لديه قناعة خاصة أنهم أعداء هذا الوطن الحقيقيون وأخطر على هذا البلد من الصهاينة أنفسهم. . هم السوس الذي ينخر في عظام هذا الوطن بلا كلل أو ملل!

لا يجوز مهادنتهم أو تهيئة أي بيئة صالحة لهم ليتكاثروا ويخرجوا للمجتمع مستعمرات إخوانية لعينة لا تصلح معها المضادات الحيوية أو شعارات المواطنة والوحدة الوطنية!

القضاء عليهم جميعا واجب وطني، بل هو واجب ديني لا يمكن التراخي فيه، لذا عندما أخبره سعيد الفقي بأن جاره هذا من الإخوان المسلمين الهاربين المتوارين عن أعين الأمن بعد فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة كان هذا سببا كافيا للغاية لأن يكون رشاد البسيوني خصما صريحا لفتحي السلاموني ولابد للأخير من أن يأخذ ثأره بيديه!

-أرم حمولك على ربنا ثم علي يا سعيد، قريبا جدا ستسمع أخبارا حلوة. .

وترك فتحي السلاموني سعيد الفقي ذاهبا إلى قسم الشرطة كي يغزل الحبل الذي سيلتف بقسوة حول رقبة هذا البسيوني الإخواني اللعين، سوف يلقنه درسا قاسيا عقابا على كونه إخوانيا وليس لمشكلته مع سعيد الفقي، لقد تاب فتحي

السلاموني وأناب عن إلحاق الضرر بالناس بالباطل ظلما وجورا وعدوانا!

* * *

obeikan.com

(٣) محمود الدمرداش

محمود صالح الدمرداش لم يكن نقيبا عاديا بجهاز الشرطة، فهذا النقيب الشاب ذو التسعة والعشرين عاما كان مثالا للضابط المثالي بدنيا وخلقيا والمتواجد – وفقا لرأي الكثيرين – بالمكان الخطأ !

هذه الأخلاق الحميدة جعلت الكثيرين يعتقدون في عدم صلاحيته للعمل بالمباحث العامة وكان الأولى به أن يعمل بالمرور أو العلاقات العامة بوزارة الداخلية!

بينما يرى آخرون أن هذا الطول الفارع والبنية الجسمانية والعضلية المتناسقة كانت تؤهله بشدة لأن يكون بالقوات الخاصة. . !

النظارة الشمسية والرأس الحليق تماما والخالي من أي شعرة ولو عن طريق الخطأ والصوت الأجش تجمعوا ليكسبوه مهابة غير تقليدية. . هو ولد ليكون ضابط شرطة أو نجما سينمائيا!

-يا محمود بيه التحريات كلها تقول نفس الكلام!

كان محمود الدمرداش وإن لم يكن يثق كثيرا بفتحي السلاموني إلا إنه يعامله باحترام لسنه الكبير ولم يكن يتعمد كباقي زملائه التقليل من شأنه وإهانته بسبب أو بدون سبب كما جرت العادة، كان محمود الدمرداش عن حق حسن

openkan.com

التربية كما أن فترة خدمته بالغردقة لم تجعل يديه تتلوثان بدماء الأبرياء الذين سقطوا في ثورة الخامس والعشرين من يناير.

ولكن كان الجميع في ذات الوقت يدركون تماما أنه من الخطر الشديد استثارة الوحش الذي يقبع داخله، والذي لن يبقي ولن يذر إن أفلت زمامه في لحظات غضبه، لن ينسى أحدهم ماذا فعل محمود الدمرداش بعد أيام من انتقاله للعمل بقسم أول شبرا الخيمة بعاطل اغتصب طفلة صغيرة بعدما استدرجها إلى الزراعات!

لقد أوسعه ضربا حتى كاد أن يفتك به إلى أن اختفت ملامحه وجره خلفه إلى خارج قسم الشرطة حيث يتجمهر أهالي الطفلة وتركه لهم ليقتصوا منه القصاص العادل ثم يعيدونه جثة هامدة قد تفرق دمها بين الأهالي ليُحفَظ التحقيق بمقتل كلب يتخفى في جسد البشر لن يهتم أحد من أهله أو ذويه – إن وجدوا – بالسؤال عنه!

نبل الغاية لديه يغني أحيانا عن شرعية الوسيلة، ولم يكن القانون في نظره كافيا دائما لرد المظالم لأصحابها!

لن يندهش كثيرا إن أدينت الطفلة المسكينة في النهاية باستدراج هذا الكلب لممارسة البغاء !

-اعمل تحريات مرة ثانية يا عم فتحي. . أعمل مجهود واتعب. . ليس كل من يربي ذقنه نعتبره إخوانيا. . وليس كل إخواني إرهابي يا عم فتحي يا سلاموني!

-أوامرك يا محمود بيه . .

opelikan.com

قالها فتحي السلاموني وأدى التحية العسكرية وانصرف وهو يكيل للنقيب محمود الدمرداش السباب والشتائم في سره لا يحرك بها لسانه. .

لم يعد ضباط الداخلية مثلما كانوا !

أين الزمن السعيد الذي كانت تأتيهم فيه التحريات فيلقون القبض على المشتبه به ويضربونه ويعذبونه حتى يصبح الموت في عينيه نهاية رومانسية سعيدة لمعاناته ثم بعد ذلك يستجوبونه، فحينها يعترف لهم بما يشاءون !

إنها الثورة اللعينة! . . هكذا يحدث فتحي السلاموني نفسه دائما. .

جعلت هذه الثورة أيادي الضباط مغلولة إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يبسطوها أي بسط . . على الضابط اليوم أن يتأكد من صحة التحريات أولا، ثم يقبض على المتهم دون أن يخدشه ثم يقدم له كيلو من الكباب والكفتة والطرب والنيفة بالسلطات المختلفة أنواعها تسر الناظرين كرشوة حلال أثناء الاستجواب كي يتكرم المتهم ويتحدث مشكورا نافيا كل التهم الموجهة إليه !

الضباط لم يعودوا كما كانوا!

* * *

صباح اليوم التالي بعد الظهيرة انشغل فتحي السلاموني باستكمال التحريات التي طلبها منه النقيب محمود الدمرداش. . هذا الأخير صعب المراس ولا يعرف المزاح ولا يستبعد فتحي السلاموني أن يأتي بنفسه للسؤال عن المشتبه به إن راودته الشكوك، ولكن لحسن حظ فتحي السلاموني أن أهالي المنطقة لم يخذلوه!

أشرف الحلاق الذي يعمل بكوافير مزيكا للرجال قال أن رشاد هذا لا يتحدث على الإطلاق ويرفض بشدة أن يحلق له لحيته بعدما ألمح أشرف له بالأمر ذات مرة ولكنه يعطيه أجره وزيادة. . لابد أنها من الأموال التي يقبضها من الجماعة!

الحاجة تحية التي تفترش الأرض ببعض الخضراوات قالت عنه أنه رجل طيب ولكنها لا تستبعد أن يكون بالفعل من الإخوان المسلمين بتلك الابتسامة اللزجة التي يحييها بها وينفرد بها أعضاء الجماعة المحظورة!

العاملون في محل فول وفلافل الواحاتي يقولون أنه يشترى إفطاره منهم أحيانا ولكنهم عندما يتحدثون عن مرسي والإخوان يستشعرون أنه قد بدا عليه الضيق وبخاصة عند الحديث عن فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة!

أحد العاملين في محل فطاطري الأمير سأل رشاد البسيوني في إحدى المرات عن رأيه في فض الاعتصام بالقوة، فرفض بشدة الإفصاح عن رأيه رغم الإلحاح مكتفيا بقول "الدم كله حرام" . . لا شك أنه إن لم يكن إخوانيا قلبا وقالبا، فبالطبع هو أحد أتباع البرادعي وإن كانت لحيته الخفيفة تشير لكونه أحد أتباع أبو الفتوح. . جميعهم خطر لا يقل بأي حال من الأحوال عن الإخوان المسلمين في نظر فتحي السلاموني!

أما عم صالح أحد المقيمين الدائمين لدى مقهى الأرزاق بالله وهي فرشة شاي وكنبتين خشبيتين إن شئنا الدقة فقد قال أن رشيد هذا لا يلقي السلام عليهم على الإطلاق في مروره عليهم ذهابا وإيابا لأنهم يعتقدون أنه يؤمن بالتأكيد أن الجلوس على المقاهي في الطرقات حرام شرعا!

openkan.com

معروف هو بين الجميع بسبب ملابسه الصيفية صيف شتاء!

أيحتاج فتحي السلاموني بعد كل اتهاماتهم لرشاد البسيوني لدليل آخر يثبت كونه من الإخوان المسلمين؟!

بالطبع لم يتحدث أحد على الإطلاق عن ضيوف يزورونه ليلا أو عن صناديق معبئة بأسلحة وذخائر ودبابات ومدرعات وطائرات سهلة الفك والتركيب والتي يجلبها لشقته في جنح الليل، ولكن بالطبع لم يكن فتحي السلاموني في حاجة لهذه التصريحات، فقد اتخذ قرارا لا رجعة فيه بأن يكون رشاد البسيوني الذي لا يعرف له أهل المنطقة مهنة أو أهلا لابد أن يكون إخوانيا إرهابيا يمثل بمفرده خطرا جاثما على الأمن القومي ويكفيه ما سمعه من أهل المنطقة، ولابد من اعتقاله فورا وعلى وجه السرعة، وليسامحه الله على الكذب الذي ينتويه أمام النقيب محمود الدمرداش الشاب الأغر الذي لم تثقله الخبرات التي تحصل على مثلها فتحي السلاموني عبر السنين، هذا النقيب طيب القلب لا يصلح للتعامل مع أمثال هؤلاء الذئاب من الإخوان المسلمين!

* * *

كانت الساعة قد جاوزت العاشرة مساءً حيث الوقت المعتاد لعودة رشاد البسيوني إلى بيته بعد يوم طويل لا يعلم أحد على وجه هذه الأرض فيما قضاه. . كانت الحركة عادية للغاية في منطقة مساكن حجازي القديمة والأهالي كعادتهم في ليالي الصيف ذاهبين آيبين بين بلوكات المساكن، لم يلق رشاد البسيوني حين عاد بالا لتلك النظرة المترقبة التي رماه بها أشرف الحلاق، نظرة من يتربص بفأر كي يخطو بإرادته إلى داخل المصيدة، المنطقة مزدحمة بطبيعتها

فلم يلحظ تلك الزيادة النسبية غير التقليدية في الشوارع الجانبية، عشرات السجائر تحترق ويتصاعد دخانها بإصرار محاولا إحداث ثقبا ولو صغيرا في طبقة الأوزون فوق شبرا الخيمة.

ما إن صعد السلم وأغلق باب شقته وراءه غير مدركٍ للأعين التي تحصي أنفاسه، وقبل أن يتحرك داخل شقته بضعة ملليمترات كانت شبكات المحمول ترصد اتصالا من شقة سعيد الفقي المجاورة بهاتف فتحي السلاموني الذي كان يجلس إلى جوار النقيب محمود الدمرداش في محل مزيكا، لحظات وجاءت الأوامر عبر اللاسلكي بالتحرك في لحظة واحدة إلى جميع الأفراد المتمركزين داخل شقة سعيد الفقي وفوق سطح البلوك ٤٣ وفي الشوارع الجانبية للهجوم على شقة رشاد البسيوني.

ضباط يتشحون بالسواد تحمي صدورهم الدروع الواقية من الرصاص، والباقون بزيهم المدني، الجميع تختفي وجوههم خلف الأقنعة السوداء وكأن هذا القناع يقول في براءة

"لسنا نحن العاملين في قسم شرطة أول شبرا الخيمة إن كنتم تنتوون قصاصا أو انتقاما!"

يحملون الأسلحة الآلية وقد شدّوا الأجزاء استعدادا لمعركة قد تستغرق الليل بأكمله.

جيش صغير بكامل عدته وعتاده في مواجهة رجل واحد!

تسارع خطواتهم قادمين من أعلى وأسفل على سلالم العمارة في آن واحد يصدر

وقعها موجات صوتية كفيلة بمفردها بهدم هذا المبني الذي ظل صامدا من أيام الزعيم خالد الذكر جمال عبد الناصر أول من وجه ضربة قاسمة لظهر الإخوان المسلمين قبل أن يعطيهم الرئيس السادات قبلة الحياة!

هذه العلامة المبشرة بخيرٍ ملأت صدور القوة الأمنية تفاؤلا وأثلجت صدورهم.

لم تكن هناك طرقات على الباب، فلم يأتوا في زيارة تستوجب أي قدر من التأدب كي يحسن الضيف ضيافتهم، ركلات متتابعة قليلة لا يتقصها العنف على الباب كانت كفيلة بانتزاع المزلاج من موضعه. . كان رشاد البسيوني يقف في وسط الصالة مذهولا لا يستطيع استيعاب ما يحدث وهو يرى الأسلحة الآلية مصوبة تجاهه تطالبه باستسلام عن مقاومة لم تحدث !

رفع ذراعيه عاليا فلم يشفع ذلك له، لينهال الجميع عليه بالركلات واللكمات وهو ساكن متقوقع حول نفسه على الأرض لا يبدى أي مقاومة تذكر!

-كفاية.. كفاية . . خذوه على البوكس.

كان هذا الأمر الذي صدر من النقيب محمود الدمرداش في صرامة كافيا ليكف الجميع أيديهم وأرجلهم عن رشاد البسيوني ليكبلوا يديه خلف ظهره ويتدافعونه أمامهم في إهانة واضحة وهو صامت لا يتحدث ولا يبدي أي مقاومة ولم يخرج من فمه غير خيط رفيع من الدماء أساله قسوة وعنف ما لاقاه من الضرب والاعتداء البدني والنفسي، تعالى بوق سيارات الشرطة بصوتها المدوي المثير للذعر في الشارع، البقية من أفراد الشرطة تبحث وتنقب في جميع أرجاء الشقة، حتى يكاد الأمر أن يصل بهم لانتزاع بلاط أرضية الشقة بحثا عن أي

obeikan.com

شيء يخفيه رشاد البسيوني.

التفتيش لشقق أعضاء جماعة الإخوان المسلمين يفتقد عمدا للنظام!

لا بد ألا يبقى أي شيء في مكانه!

عملية القبض علي أحدهم لابد أن يصاحبها جلبة وصخب وحالة من إثارة الفزع كرسالة يجب أن تصل بوضوح لجميع الأهالي في المنطقة

"إياكم أن تصيروا مثلهم"!

-هشام بيه. . محمود باشا. . ثانية هنا من فضلكما.

هرع الرائد هشام الجندي قائد قوة الهجوم والنقيب محمود الدمرداش إلى المطبخ حيث أتى النداء وقد توقعا أن يجداهم قد عثروا على ترسانة من الأسلحة والذخائر وكيماويات يستخدمها المتهم في تصنيع العبوات الناسفة بدائية الصنع أو زجاجات المولوتوف على أقل تقدير. . لو وجدوا موقدا من الكيروسين لأفرغوا ما به من جاز ولأخذوه ضمن الأحراز!

ولكنهما وجدا أمين الشرطة عبد الصمد دسوقي عبد الصمد زعتر يمسك بجسمين أملسين تماما سوداوين معتمين أحدهما مكعب والأخر على شكل متوازي المستطيلات لا يزيد طول أحدهما عن ثلاثين سنتيمتر!

-يا باشا . . الحاجة هذه كانت موجودة في حلة من الحلل!

وقف هشام الجندي ومحمود الدمرداش ينظران في دهشة للأحراز . . لم يكونا قد رأيا مثلهما من قبل!

obeikan.com

ولك يكن ذلك ما قد أتيا من أجله !

* * *

الجميع يقفون في الشرفات والشارع يكبرون ويهللون ويهتفون بحماس للشرطة والجيش على الرغم من أن الأخير لم يشارك في عملية القبض على رشاد البسيوني!

النساء يطلقن الزغاريد احتفالا بحماسة بالغة . .

الأطفال ينظرون بإعجاب وزهو لهؤلاء الأبطال المسلحين المقنعين من رجال الشرطة الذين أمتعوهم بعرض حي لأحد مشاهد الأكشن تفوق ما يشاهدونه على MBC٢ و MBC Action. . خاب أملهم في انتظار اللحظة المثيرة التي يتم فيها تبادل الأعيرة النارية وتنفجر العمارة بمن فيها. . !

ماذا يتوقع البعض من أطفال نشئوا وتربوا على العنف في واقعهم وفي التليفزيون حتى صارت مشاهد الدم والقتل شيئا ممتعا محببا لنفوسهم !

الرجال فرحون للغاية بأن وجدوا شيئا يتحاكون به في جلساتهم ويتفاخرون به كل في عمله . .

"الإرهابي الذي أسقطته الشرطة دون طلقة رصاص واحدة"

سوف يتحاكون عن مخططاته التي أفشلتها الشرطة المصرية لتفجير مساكن حجازي القديمة والمحكمة المجاورة وقسم الشرطة ومجلس المدينة. . سوف يبالغون عمدا في وصف رشاد البسيوني بالإرهابي الجهادي الذي ينتمي لجماعة

obeikan.com

التكفير والهجرة وتنظيم القاعدة وتنظيم بيت المقدس إلى جانب عضويته في جماعة الإخوان المسلمين الراعي الرسمي لكل هذه التنظيمات الإرهابية. . ثم فجأة بعد أيام قلائل سينسون كل شيء ويعودون لرتابة حياتهم التقليدية المملة!

أما سعيد الفقي فكان يقف في شرفته في انتظار رحيل آخر أفراد الشرطة، وما إن رحلوا حتى أسرع إلى شقة رشاد البسيوني ببابها المفتوح على مصراعيه والتي لم يهتم أحد بمداراة سوءاتها، كانت الشقة قد قلبت رأسا على عقب وكأن قطيعا من الفيلة الإفريقية كان يرتع بها، ما من شيء بقى في موضعه وهو ما صعّب الأمر على سعيد الفقي كثيرا!

بحث سعيد الفقي في كل أركان الشقة وأسفل قطع الأثاث المتناثرة في كل أرجاء الشقة ولكنه لم يجد ما جاء من أجله!

شعر حينها بالإحباط الشديد وخيبة الأمل وأحس بالندم على فعلته بعدما راوده هاجس بأن الشرطة قد وجدت ما جاء للبحث عنه !

لِمَ لَم يفكر من قبل في اقتحام الشقة ويكون الأمر كأن لصا قد اقتحمها، ولكن ذلك كان ندما حين لا ينفع الندم!

كان أهالي المنطقة قد بدأت أصوات خطواتهم تعلو صاعدين على سلم العمارة وقد جاءوا ليستمتعوا بمشاهدة الشقة التي كان يسكن فيها الإرهابي رشاد البسيوني من الداخل متوقعين رؤية صور أسامة بن لادن وأيمن الظواهري ومحمد بديع معلقة على الحوائط أمام سجادة صلاة رشاد البسيوني!

خرج لهم سعيد الفقي يستقبلهم وقد رسم على وجهه سعادة وفخرا مصطنعا

مستقبلا تحياتهم كونه من تجرأ واتخذ القرار الشجاع بإبلاغ الشرطة والجهات الأمنية عن هذا الإرهابي وقد وأد مخططاته الإرهابية في مهدها!

* * *

obeikan.com

(٤) هشام الجندي

عندما أزالوا العصابة من فوق عيني رشاد البسيوني، وجد نفسه في غرفة ضيقة خافتة الإضاءة يفوح منها رائحة عفن، يجلس إلى مكتب خشبي قديم يتوسط الغرفة وأمام المكتب كرسي آخر غير الذي يجلس عليه، هي غرفة استجواب تقليدية من التي رآها الجميع في الأفلام القديمة حتى أن رشاد البسيوني كان ينتظر في اللحظات القادمة أن يدخل عليه كمال الشناوي ليهدده بفرج !

مضى على رشاد البسيوني وهو ساكن في مكانه ما يقرب من الساعتين ولا أحد يدخل عليه الغرفة ليخبره على الأقل لماذا تم القبض عليه وما الجرم الذي ارتكبه، حتى وصل به نفاد الصبر والملل لأن يتمنى أن يأتوا ليعذبوه بلا سبب بدلا من هذه التجاهل، حتى دخل عليه النقيب محمود الدمرداش حاملا كوبا من الماء وحفنة من الأوراق. .

-رشاد البسيوني. .

قالها محمود الدمرداش في لهجة تقريرية جاذبا المقعد القريب ليجلس في مواجهة رشاد البسيوني الذي كان ينظر إليه نظرات خاوية خالية من أي تعبير منتظرا كلمات هذا الضابط التالية . .

"هذا الرجل بارع في تظاهره بالبراءة!". . هكذا حدث محمود الدمرداش نفسه وتمنى أن يطلق سراحه فقط لإتقانه التمثيل بهذه الروعة، أمعن

محمود الدمرداش النظر لدقائق في رشاد البسيوني دون أن يتفوه بكلمة محاولا استنباط أي انطباع أولي عنه، هذا الرجل الذي لم يخف انحناءه في جلسته طوله الفارع وجسمانه القويم، قسمات وجهه توحي بأنه طفل ينتظر عقابا على خطأ ارتكبه ولكنه لا يعرف تحديدا ماهية هذا الخطأ!

-نحن نأسف لك على الأسلوب الذي استخدموه معك يا أستاذ رشاد. .

وأشار لخيط الدماء المتجلط الذي سال من زاوية فم رشاد البسيوني ثم أعطاه منديلا ورقيا بعدما بلله بالقليل من الماء وأشار له أن يمسح أثار الدماء، ففعل رشاد البسيوني دون تعليق، فأكمل محمود الدمرداش في ود . .

- الإخوة هنا في المركز لازالوا معتادين على الأسلوب القديم الذي لا يتماشى مع سياسات الوزارة في الفترة الحالية . . أنت ستشرفنا هنا بعض الوقت لاستكمال بعض التحقيقات وإن شاء الله نكون مخطئين وترجع لمنزلك في خلال ساعات. . رشاد أنت مركز معي ؟!

-نعم يا فندم. .

-عظيم. . المهم حاليا، أريدك مشكورا أن تكتب لي كل حاجة عن حياتك في هذه الأوراق بالتفصيل الممل . . وبعد أن تنتهي سنتناقش قليلا حول بعض التفاصيل وينتهي الأمر على خير إن شاء الله. .

-هو أنا مقبوض علي بسبب معين؟!

تساءل رشاد البسيوني في تعجب لا رهبة فيه ولا انكسار . .

-ليس هذا الوقت المناسب للأسئلة يا رشاد، أبدأ حالا كي لا تضيع وقتك واعذرني لأني مشغول جدا حاليا. . سأتركك لتبدأ الكتابة وسأعود لك لاحقا. . آه صحيح. . أنت مدخن ؟!

سأله محمود الدمرداش في ود وكأنه يتحدث مع صديق عزيز مخرجا علبة سجائره وواضعا إياها على المكتب أمام رشاد البسيوني . .

-لا يا فندم شكرا. .

-يا بختك . . اعتذر لك مرة ثانية عن أي إساءة تعرضت لها ولكن أنت تعرف الضغوط التي يتعرض لها جهاز الشرطة بالكامل هذه الأيام كما قلت لك . .

أنهى محمود الدمرداش حديثه واستعاد علبة سجائره وغادر الغرفة مغلقا الباب خلفه في هدوء ليترك رشاد البسيوني وحيدا مع الأوراق والقلم يحملق فيهما ولا يدري ماذا سيفعل في الساعات القادمة، فعلى الرغم من حديث الضابط المتأدب معه والمعاملة المحترمة التي وجدها منه إلا أنه يعلم علم اليقين أن هذه المعاملة لن تستمر طويلا !

* * *

-ابن الكلب هذا وراءه قصة كبيرة، أنا متأكد ولازم نعرفها.

قالها الرائد هشام الجندي في عصبية بالغة. .

-يا عم هشام لا نريد أن نتسرع . . الرجل لم نستجوبه بعد. .!

-(اسم فعل يعني الاعتراض والاحتجاج). . واحد ابن مرة مثله لا أحد يعرف

اسمه بالكامل في منطقة شعبية يسكنها من عشر سنين. . وابن (وصف للأم بالزانية) الذي أجّر له الشقة أضاع صورة بطاقته الشخصية وصورة العقد، ولا واحد في المنطقة عارف الزفت هذا يشتغل في أي داهية ولا أصله من أي خرابة. . وفي النهاية لقينا عنده حاجتين لا نعرف ما هما. . وليس لديه هاتف محمول ولا كمبيوتر ولا لاب توب وكل ما معه ٣٠٠٠ جنيهٍ! . هذا بني آدم ابن كلب غير طبيعي يا محمود.

-يا عم هشام أنت في مصر. . أي واحد ممكن أن يولد ويموت دون ورقة واحدة تدل على شخصيته لو قدر يستغنى عن التعليم والدعم والوظيفة الحكومية. . نحن ٨٥ مليون جثة يا هشام. . لو كل واحد من الشعب لم يجر وراء الحكومة كي يثبت أنه حي ليأخذ حقوقه كاملة من البلد، ما كانت الدولة ستهتم من الأساس أن تتأكد من وجوده من عدمه!

أشاح هشام الجندي بيده في الهواء دلالة على استيائه من هدوء ولا مبالاة محمود الدمرداش الذي يستفزه ببرود أعصابه وكأنه لا يستشعر حجم المشكلة التي يواجهانها، ثم قال في عصبية واضحة . .

-هو ابن المرة هذا كم مضى عليه من وقت يكتب بـ(عضو حساس لدى أم رشاد)؟!

رفع محمود الدمرداش عينه للساعة المعلقة على حائط المكتب والتي كانت تشير للثانية ظهرا. .

-هكذا أكثر من ثماني ساعات. . أعتقد كفاية . .

-خلاص . . كفاية فعلا . . سأدخل له أنا. . زمانه استوى. .

قالها هشام الجندي دون أن يتخلى عن عصبيته المفرطة ونهض ذاهبا إلى الغرفة المحتجز بها رشاد البسيوني فتبعه محمود الدمرداش لينتظره بالخارج على أهبة الاستعداد خشية أن يبطش هشام الجندي في ثورته العاتيه برشاد البسيوني.

كان رشاد البسيوني جالسا في مكانه لم يفارقه ولم تغفل عيناه ولو للحظة واحدة وأمامه الأوراق كما هي لا زالت خالية تماما من أي نقطة حبر وقد كان متأكدا من أن اللحظات التالية لن تمضي على خير!

* * *

كان هشام الجندي كثيرا ما يعول على ترك المشتبه به كل هذا الوقت وحيدا بين أربعة جدران حيث لا أحد يدخل عليه. . لا طعام أو شراب أو كوب ماء. . لا مكان لقضاء حاجته ويبدو من الرائحة العفنة أن الكثيرين اتخذوا هذا المكتب دورة مياه مؤقتة اضطرارا. . فقط هو والأوراق والقلم والسكون والصمت المطبق. . هي طريقة أحيانا ما تنجح لتحطيم أعصاب البعض للإقرار والاعتراف بكل شيء قبل تجاوز الأربعة وعشرين ساعة وهي مدة الاحتجاز المسموح بها قبل تقديمه لجهات التحقيق كما نص عليها الدستور الذي يكره هشام الجندي ما به من حقوق يعتبرها رفاهية تكبله ورفاقه في عملهم !

لا يريد هشام الجندي أن تضطره الظروف ويعود ثانية إلى أساليبه القديمة التي تثير غضب وحنق جمعيات ومنظمات حقوق الإنسان والصحفيين والمعارضين

ومن هم على شاكلتهم، والذين – وفقا لقناعات هشام الجندي – يراهم مخنثين يتمنون حدوث التجاوزات كي يمارسوا عملهم ولتمتلأ حافظات نقودهم وبطاقاتهم الإئتمانية وحساباتهم البنكية بما لذ وطاب من أنواع العملات النقدية المختلفة ألوانها وفئاتها المتعددة تسر الناظرين، هم لا يحلمون أبدا أن يعم العدل والمساواة وتُحترَم كرامة المواطن وأن يعيش في مدينتهم الفاضلة لأن حينها سيصبحون عاطلين بلا عمل وبلا دخل!

لكن الرياح قليلا ما تأتي بما تشتهي السفن وبما يطيب لها نفوس ربانها، فعندما دخل هشام الجندي المكتب متحفزا حاملا فوق كتفيه وجهه المتجهم وشاربه الكث وصرامته التي تجمد الدماء في عروقها، وجد رشاد البسيوني هاديء الطباع مستكينا مستسلما تمام الاستسلام، ولكن ذلك لم يكن ما اثار استفزاز هشام الجندي وإنما ما استفزه صراحة وفجر براكين الغضب في داخله لتتناثر حممها خارجه كانت تلك الأوراق البيضاء التي لا تخلو إلا من سطورها الفارغة التي لم تلوث بنقطة حبر!

-أنت نويت تتعبنا معك.

قالها هشام الجندي في غضب وجذب الكرسي الخالي ووضعه بعنف في مواجهة رشاد البسيوني الذي لم يبد أي تعليق . .

-اسمك إيه ؟

-رشاد. .

أجابه رشاد البسيوني بهدوء زاد من استفزازه. .

openkan.com

-لما أقولك اسمك إيه. . تجاوب باسمك بالكامل يا روح أمك، أنا لا أشحذ منك الكلام. .

قالها هشام الجندي بغضب وهوى بكفه على المكتب في قوة لم تحدث أثرا على وجه رشاد البسيوني الذي أجابه بهدوء. .

-رشاد محمد رشدي البسيوني.

-عظيم يا رشاد زفت البسيوني. . ودين أم الورقة هذه بيضاء لماذا ؟

-يا فندم حضرتك نحن من الأفضل نتكلم باحترام. .

لم يكد رشاد البسيوني ينهي جملته حتى هب هشام الجندي واقفا وقذف بالكرسي ليصطدم بأحد الجدران في عنف وأصدر صوتا حلقيا قبيحا دليلا على اعتراضه واستهجانه لقول رشاد البسيوني. .

-هو أنت ستعلمني طريقة الكلام يا ابن (سبة لأم رشاد تصفها بالمداومة على ممارسة البغاء). . أنا لما اسأل تجيب وإلا عليّ الحرام من ديني لن ترى الشمس مرة ثانية.

أسبل رشاد جفنيه وأحنى رأسه لثوان معدودة محاولا تجاهل ما يسمعه من قبح قول هشام الجندي المغرق في فحشه وبذاءته، ثم تحدث محاولا الحفاظ على هدوئه الذي يزيد من غضب هشام الجندي. .

-أنا رشاد محمد رشدي البسيوني . . ٣٩ سنة. . أعزب. . أسكن في بلوك ٤٣ بمساكن حجازي القديمة. . ولا أعلم سببا محددا للقبض علي واحتجازي كل هذا الوقت. .

obeikan.com

تناول هشام الجندي الكرسي المسكين الذي نجا من التحطم على أثر ارتطامه بالحائط ووضعه بهدوء مقلوبا أما رشاد البسيوني رافعا إحدى قدميه على الكرسي ليستند عليها واقفا، وحاول قدر جهده إيداع صوته كل الهدوء الذي يستطيعه قائلا:

-شغلك إيه يا رشاد. .

-على باب الله..

هذا الهدوء من رشاد البسيوني المبالغ فيه يكاد يحرق أعصاب هشام الجندي، هو اعتاد هذا البرود والبلادة بالتأكيد من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين الذين يعتقلونهم أو حين يلقونهم في المناسبات العامة وأثناء تنظيم صلاة العيدين، هو يتعمدون استفزازه لا شك، يرون في ذلك قوة منهم قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير ويفعلون ذلك شماتة من بعدها حين استقرت مقاليد الأمور بين أيديهم . . ولكنه في ذات الوقت لم يكن يوما في حاجة فعلية لإجاباتهم على أسئلته حينما يعتقلهم وقد كان يعلم مسبقا كل شيء عنهم حتى مقاس ملابسهم الداخلية إن أراد ذلك، ولكن تلك الحالة التي يتفرد بها رشاد البسيوني والتي لم تمر عليه من قبل تثير غيظه وتضرب بعنف على أوتار غضبه، هذا مشتبه به لا يملكون أي معلومات عنه غير ما يخبرهم رشاد البسيوني نفسه بها. .

المشكلة تكمن في كونه بخيلا للغاية في هذا الشأن!

لا أوراق رسمية تثبت أو تشير إلى شخصيته حتى وإن كانت مزورة، كان هشام

الجندي واثقا تمام الثقة من خلو صحيفة الحالة الجنائية الخاصة به دون أن يحاول البحث. .

هذا الرجل لعمره لأشد الألغاز غموضا التي قابلها هشام الجندي في تاريخه الشرطي!

حاول هشام الجندي أن يتمالك نفسه قدر الإمكان محاولا السيطرة على وحش غضبه الذي يحاول بلا كلل أو الملل التحرر ليفتك برشاد البسيوني، أخرج علبة سجائره وأشعل واحدة بيد تمسك بالقداحة في ثبات وتعرف طريقها إلى طرف السيجارة دون أن يعيرها انتباهه، سحب نفس أولي عميق ثم نفخ دخانه وقطرانه في بطء في فضاء الغرفة محاولا انتقاء كلماته القادمة. .

-رشاد. . أنا سأحاول أن أبدأ معك من البداية. . ما رأيك في بداية جديدة؟

لم يبد رشاد البسيوني ردا وكأن هشام الجندي يتحدث إلى نفسه فأكمل الأخير محاولا التظاهر بالهدوء النابع من قوة موقفه وقدرته على البطش والإيذاء كيفما يشاء . .

-أنت حاليا متهم بالانتماء لجماعة محظورة، ليس لديك أي أوراق تثبت شخصيتك، وجدنا لديك أجهزة لا نعلم بعد فيم تستخدمها، لا أخفي عليك . . قد يتطور الأمر لقضية تخابر مع جهات أجنبية بهدف الإضرار بأمن وسلامة الوطن. .

قالها هشام الجندي مبتسما وضاغطا على كلماته الأخيرة وهو يرسمها في فراغ الغرفة ملوحا بسيجارته منتظرا وقع كلماته على رشاد البسيوني الذي فاجئه

obeikan.com

بعدم إبداء أي استجابة!

-لم تقل لي ما رأيك ؟

-حضرتك كفاية محاولات معي، صدقني كل ما سأقوله قد قلته بالفعل. .

لم يعد في قوس غضب هشام الجندي منزع . . انقض على رشاد البسيوني ممسكا بتلابيبه ودفعه دفعا لأحد الجدران ورشاد البسيوني مسالم مستكين وكأنه جثة بلا روح بين يدي مغسلها!

-ما أنت ستتكلم يعني ستتكلم يا ابن (وصف لأم رشاد بأنها خرقة بالية توضع في المطبخ)، لا تفكر أن الموضوع يرجع لمزاج أمك.

في تلك اللحظة دخل محمود الدمرداش الغرفة ومعه اثنين من العساكر ليفصلا بين رشاد البسيوني وهشام الجندي قبل أن يفتك الأخير بالأول، وإن استمر هشام الجندي بكيل السباب والشتائم لرشاد البسيوني وأمه على وجه التحديد، لينجحوا في النهاية بعد عناء بالغ في إخراج هشام الجندي من الغرفة تاركين رشاد البسيوني وحيدا ثانية بين جدرانها . . حينها فقط أدرك رشاد البسيوني أن تلك اللحظات تُكتَب بداية نهايته . .

* * *

- اهدأ يا هشام. . هو لن يتحدث يا أخي مهما فعلت.

كان محمود الدمرداش يحاول عبثا تهدئة هشام الجندي الذي بلغ غضبه منتهاه، المكتب ملبد بغيوم وسحب من الدخان المتزاحم في فراغ الغرفة على

أثر لفافات السجائر المتعاقبة التي تحترق مضحية بتبغها الذي قرر هشام الجندي أن يعجل بحرقه محاولا إنقاذ أعصابه من احتراقها، سحبٌ من الدخان توشك أن تمطر على رؤوسهم قطرانا ونيكوتينا!

-يعني أنت ترى ما العمل يا محمود؟! . . نتركه عندنا مرمي مثل الكلب إلى أن يظهر له صاحب؟! . . المفروض أن نحوله على أصحابك في أمن الدولة، يقولوا علينا إيه ؟؟ نطبطب على المتهمين !

-يعني هو المفروض نعمل إيه حاليا. . رصاصة ونخلّص عليه ؟! . . قلت لك يا باشا إن أهله لو ظهروا فجأة وشافوه بعدما تعذبه، سيكون مصيرنا في ستين داهية في الزمن الأغبر هذا. . الناس لم تعد تخاف مثل زمان. . سأحاول أنا معه مرة أخيرة وربنا يكرم ساعتها. .

نهض محمود الدمرداش مغادرا مكتب هشام الجندي ليحاول مع رشاد البسيوني بترغيبه بالجزرة مادام ترهيبه بالعصا لم يؤت ثماره!

دخل محمود الدمرداش الغرفة ليجد رشاد البسيوني في موضعه لم يتحرك وكأنه منذ نشأة الكون قد وضع على هذا الكرسي محاولا أن يحجز لنفسه مكانا خالدا في التاريخ يناطح مكانة الكاتب المصري الجالس القرفصاء الصامد منذ بدايات الأسرة الخامسة حتى يومنا هذا!

جلس محمود الدمرداش في مواجهة رشاد البسيوني مخرجا علبة سجائره وعلبة ثقابه التي يصر على استخدامها رافضا استخدام قداحات الغاز. .

اخرج السيجارة ووضعها في بطء بين شفتيه ثم أخرج عود ثقاب وأشعله بضربة

واحدة في ثبات ليشعل بلهبه سيجارته، امتص من سيجارته نيكوتينها وقطرانها وقليلا من دخانها في بطء ليحبسه أسيرا بين حويصلاته الرئوية، ثم أخرجه دفعة واحدة. . كان يتعمد التمهل منتظرا أن يبدأ رشاد البسيوني بالكلام مبديا أي اعتراض أو مفصحا عن أي اعتراف ينقذ نفسه به من بطش هشام الجندي الذي رأي القليل منه، ولكن لما بدا له أنه سينتظر الدهر كله تلك الكلمات من رشاد البسيوني والتي لن تخرج تحدث هو. .

-رشاد. . أنا لا أعرف ماذا أقول لك. . كلمات الاعتذار لن تكفيك. . هشام بيه معذور. . جهاز الشرطة بالكامل قد تغير مثلما تعرف، وطريقة التعامل فيها تحسن ملحوظ على مستوى كل القيادات، ولكنك لن تتخيل حجم الضغوط التي يتعرض لها هشام بيه من القيادات. . والله هو يريد مساعدتك. . أنت تفهم ماذا أريد أن أقول ؟

ارتسمت على زاوية فم رشاد البسيوني اليسرى شبه ابتسامة ما لبثت أن اختفت سريعا وتوارت بين شاربه ولحيته وبقايا خيط الدماء المتجلط ولم ينطق حرفا، فتململ محمود الدمرداش متابعا. .

-يا رشاد نحن نحاول أن نساعدك بأي طريقة. . صدقني هنا فقط من الممكن أن تجد من يساعدك. . نحن لا نرغب في تواجدك دقيقة واحدة في الأمن الوطني. . أمن الدولة. . عندما تصل هناك تأكد أنك لن تخرج كما دخلت، هذا إن كان مقدر لك أن تخرج ثانية من الأساس. . والله يا رشاد أنا أتحدث إليك كأخ وصديق. .

لهجة محمود الدمرداش الودودة جعلت رشاد البسيوني يتحدث أخيرا، واعتقد معها الأول أن أسلوبه قد يؤتي ثماره أحيانا بعيدا عن طريق العنف والتعذيب والبطش والتنكيل. .

-يا حضرة الضابط أنا أقدر بشدة احترامك وإسلوبك المحترم الراقي بشدة، لكن صدقني لن تجد لدى أكثر مما قلت، اعتبرني فاقد للذاكرة من أثر الضرب الشديد الذي انهال على رأسي إن كنت تريد مساعدتي حقا . .

-اعتبر هذا آخر كلام عندك يا رشاد ؟

سأله محمود الدمرداش في نفاذ صبر وقد شعر بضيق من إجابة رشاد البسيوني فأجابه رشاد البسيوني بصمت مطبق وضع نهاية لحوارهما، بائس هذا الرجل، فليصمت كيفما يريد وهناك في الأمن الوطني لسوف يجعلونه يعترف بكل شيء وأي شيء لتصبح أغلى أمانيه أن يخرج ميتا في أسرع وقت!

هذا أحمق آخر يحاول أن يبدو شجاعا!

* * *

opeikan.com

(٥) هاني رمزي

عندما يتلقى هاني رمزي اتصالا من أحد مصادره يدرك حينها جيدا أن المعلومة التي سيحصل عليها قابلة للتفاوض على المقابل الذي سيتحصل عليه المصدر على قدر أهمية المعلومة، ولكن في حالة فتحي السلاموني الحريص للغاية والذي لا يضع أي ثقة حتى في أصابع يديه لا يطلق صراح أي معلومة قبل أن يتلقى المقابل أولا، هو يضمن جودة بضاعته ويعلم كيف يبرع في تسويقها ومن الأنسب لشراء جزء منها أو كلها، بل إنه يقدم بعض العينات المجانية في بعض الأحيان لزبائنه كعربون للمحبة!

لذا فهاني رمزي يدرك جيدا إلى حد اليقين بأنه عندما يخبره فتحي السلاموني بأن لديه معلومة مهمة للغاية تستحق أن يكافأ عليها فهي أولا معلومة مهمة للغاية يستحق أن يكافأ عليها، وثانيا أن فتحي السلاموني لن يتفوه بكلمة واحدة تصريحا أو تلميحا دون أن يتلقى المكافأة التي تملأ عينيه والتي يحددها بنفسه، وثالثا وأخيرا أن فتحي السلاموني لن يتحدث على الإطلاق عن أي تفاصيل عبر الهواتف المحمولة اللعينة خشية أن يكون الأمن الوطني يتنصت علي أفراد الشرطة جميعهم مثلما يفعلون مع غيرهم!

الحرص واجب!

كان اللقاء مثلما اتفقا الساعة الخامسة عصرا عند محل عصائر الراوي حيث

يأكل فتحي السلاموني وشاربه الكث كوكتيل من الفواكه الطازجة في حين سيكتفي هاني رمزي بعصير قصب من الحجم الصغير ترشيدا للنفقات، وفي حركة حاول هاني رمزي أن تكون عفوية وإن لاحظ الجميع ما حدث وسجلته الأقمار الصناعية وضع في جيب فتحي السلاموني ورقة حمراء من فئة الخمسين جنيها كما اقتضت التسعيرة، ولم يتكلف فتحي السلاموني عناء التأكد من المبلغ الذي طلبه، فالجميع يدرك أنه لا مجال على الإطلاق للعبث مع فتحي السلاموني وإلا كان العقاب الأخف وقعا هو الحرمان من جنة معلوماته الغنّاء، قاعدة بيانات إخبارية كقاعدة بيانات الـ CNN ولكن الفارق أن فتحي السلاموني يقوم بتحديث معلوماته بمعدل مرة واحدة في كل ثانية!

أخبره فتحي السلاموني عن رشاد البسيوني الغامض المتهم بالانتماء لجماعة الإخوان المسلمين المحظورة والتخطيط لعمليات إرهابية والتخابر مع جهات أجنبية، وعن حيرة الضباط في قسم الشرطة بسبب هذا الرجل الذي لا أصل له ولا فصل، لا تتوافر لديهم أي معلومات على الإطلاق عن هذا الرجل، أخبره كذلك عن الأجهزة الغامضة التي وُجِدَت في شقته، أخبره أن أيامه المتبقية في قسم أول شبرا الخيمة أوشكت على النفاذ وقد اقترب الوصول لقرار بإرساله إلى مثلث برمودا الذي يقع على بعض أمتار منهم والذي سيختفي فيه رشاد البسيوني أياما وربما شهورا قد تصل إلى سنوات إن لم يختف فيه إلى يوم القيامة أو حتى قيام ثورة ثانية ضد الداخلية في عيدهم فيكتشفون حينها رفاته!

مثلث برمودا المرعب حيث يقبع مبني الأمن الوطني الذي يقف متظاهرا بالبراءة في نهاية الشارع، إن دخله فحينها لن يسمع عنه أحد أي معلومات إلى

أن يشاء الله، وكهدية من فتحي السلاموني خارج الحساب، قدم نصيحة لهاني رمزي بأن يسرع بمقابلة النقيب محمود صالح الدمرداش علَّ وعسى أن يخرج منه بسبق صحفي هام أو تصريح يفيده، ونصحه بأن يتحاشى تماما مقابلة الرائد هشام الجندي هذه المرة لأنه في حال لا يسمح له بالتجاوب أو بأي نقاش حول رشاد البسيوني الغامض هذا على وجه التحديد، يؤمن فتحي السلاموني على أثر تدينه مؤخرا بالحديث النبوي الشريف بأن الله يحب إذا عمل أحدهم عملا أن يتقنه، ولذا لم يبخل على هاني رمزي بأي معلومة رأى أنها قد تساعده.

* * *

- على الباب صحفي طالب يقابل معاليك يا باشا.

قالها العسكري رجب عبد الظاهر في تأدب للنقيب محمود الدمرداش مؤديا التحية العسكرية فأشار له الأخير أن يدخله وهو يفكر في أسباب هذه الزيارة التي يتمني ألا تكون بخصوص رشاد البسيوني.

دخل هاني رمزي ذو السبعة والعشرين عاما على محمود الدمرداش وتقدم لمصافحته أولا ثم رفع النظارة الشمسية عن عينيه بعد ذلك محاولا كعادته أن يبدو كمشروع رئيس تحرير بالغ الأهمية يمشي على قدمين غير مدركٍ أن نظارته الشمسية لا تتماشى على الإطلاق مع حلول الليل!

-كيف حالك يا محمود بيه، هذه أول مرة نتقابل فيها، شبرا الخيمة منورة يا باشا. . آه. . نسيت أعرف سيادتك بنفسي. . هاني رمزي.

توقف هاني رمزي عن الحديث مختبرا وقع اسمه على وجه محمود الدمرداش

الذي ابتسم ابتسامة خفيفة كعادة كل من يسمع الاسم ولكنها سريعا ما تلاشت دون تعقيب، ليتابع هاني رمزي حديثه وقد استشعر بعض الراحة النفسية تجاه محمود الدمرداش.

-لأ معاليك، سعادتك هاني رمزي الصحفي غير هاني رمزي الممثل غير هاني رمزي كايزرسلاوترن حضرتك، أنا محرر في صفحة الحوادث في جريدة الشعب اليوم.

-تشرب إيه يا هاني يا رمزي؟

-لا يا فندم أنا شاكر لأفضالك، خيرك سابق، أنا قلت أتشرف بمقابلة معاليك ونتعرف، محتاجين اسم معاليك ينور في الجريدة عندنا من وقت للثاني، لازم تهتم الصحافة والإعلام بقيادات الداخلية الشابة من أمثال معاليك.

حقيقة كان هاني رمزي لا يجد أي غضاضة في تفخيم الآخر أيا كان بإعطائه حجما يفوق أضعاف حجمه الفعلي، لا يجد أي حرج أو انتقاص من كرامته في أن يخفض للجميع جناح الذل منافقة في مقابل أن يرضي لديهم تضخم الـ(أنا)، فينال رضاهم ومعلوماتهم، عليه مجبرا أن يفعل ذلك باقتناع تام وسعادة وسرور في بداية حياته كي يصل إلى تحقيق النجاحات المتتالية والمستمرة حتى يصبح بعد سنين الرجل المهم الذي يسعى خلفه كبراء هذا البلد اتقاءً لغضبه وخوفا من أن تودي بحياتهم رصاصات قلمه، آملين في أن يمنن عليهم ويجيب على اتصالاتهم فيتمنع وهو أكثر الراغبين.

أكثر من ربع ساعة قضاها الاثنان في حديث شمل التعارف وأخبار شبرا

الخيمة والسابقين الراحلين عن قسم الشرطة وحال البلد و ثورة الثلاثين من يونيو والسيسي البطل والبرادعي الجبان وإرهاب الإخوان، كان هاني رمزي مرنا للغاية مطاطي الرأي حين يتعلق الأمر بإبداء رأيه في القضايا السياسية والدينية والرياضية المثيرة للخلاف، فهو إخواني الفكر متطرفه في حديثه مع الإخوان، وعاشق للسيسي في حديثه مع ثوار ٣٠ يونيو، ومنعزل عن الواقع يتحدث عن بلد آخر مع أنصار البرادعي وساخط معارض لكل شيء مؤيد لكل شيء رمادي الرأي مع أنصار أبو الفتوح، أهلاوي مع الأهلاوية، زملكاوي الهوى مع الزملكاوية، أحمد حسن مع الجميع!

رأيه الشخصي الذي يحتقر كل هؤلاء لا مكان له ها هنا، عليه أن يجعل من رأيه بضاعة رائجة ترضي جميع الأذواق.

بدا محمود الدمرداش ودودا معه بغير تكلف على خلاف أقرانه من الضباط، وذلك أسعد هاني رمزي بشدة لا جدال، وضرب في أراضي عشمه بدعامات الشجاعة كي يفاتحه في قضية رشاد البسيوني.

-إلا يا محمود بيه سعادتك كنا محتاجين أي تفاصيل للنشر بخصوص قضية الرجل المقبوض عليه أمس.

نظر إليه محمود الدمرداش مليا بوجه خلا من أي تعبير استنكاري أو تعجبي، ثم أخرج سيجارة وأشعلها في بطء متعمد طلبا لمزيد من الوقت للتفكير في نفي الخبر تماما أو تأكيده، يدرك جيدا أن كثيرا من أمناء الشرطة والمخبرين يتسارعون بحماس منقطع النظير لنقل أخبار قسم الشرطة أولا بأول لدوائر

الصحافة والإعلام في مقابل مبالغ نقدية أحيانا أو بضع أقراص من الترامادول أو الفياجرا أحيانا أخرى، وربما في أوقات ثالثة يقنعون بوجبة في مسمط أو ينتهي طموح بعضهم بإفطار على عربة فول مع بعض أوراق الجرجير كبديل طبيعي للفياجرا يخلو من الآثار الجانبية وبلا أي موانع للاستخدام!

لذلك لم يتعجب محمود الدمرداش على الإطلاق من معرفة هاني رمزي بشأن رشاد البسيوني، بل بدأ من تلك اللحظة يستعد نفسيا لتهافت الصحفيين عليه في الساعات القادمة.

كان محمود الدمرداش كعادته يحاول التفكير قليلا خارج الصندوق، وأعمل عقله في سرعة فيما قد يعود عليه من فائدة إن وصل خبر القبض على رشاد البسيوني الغامض المجهول الهوية وتسرب إلى الصحافة؟!

أليس من الممكن أن يستفز ذلك من هم وراءه أو من يعرفونه من أهل وأصدقاء لمحاولة الوصول إليه بغرض مساعدته أو إنقاذه أو إنقاذ أنفسهم؟!

كل ما كان يريده محمود الدمرداش في تلك اللحظة هو طرف خيط رفيع ميكروسكوبي الحجم فقط يمكنه من خلاله البدأ في تقفي أثر هذا البسيوني أو أيا كان، لم يقابل في مشواره المهني الأمني القصير أحدا مجهول الهوية بهذه الطريقة، والإنسان عدو ما يجهل، ومحمود الدمرداش يكره أن يصنع لنفسه أعداءً لا قيمة لهم، هو يجهل كل شيء عن رشاد البسيوني في تلك اللحظة ويسعى لأن يغير هذا الوضع ويضع قدميه على نقطة البداية التي ينطلق منها عدوا بنجاح إلى خط النهاية، لذلك قاده تفكيره لتصرف غريب غير معتاد

في مثل تلك الظروف، واختمرت الفكرة في عقله في ثوان قليلة قبل أن يقضي على نصف السيجارة فأطفأها في منتصف عمرها ليثنيها عن سعيها لقتله في منتصف عمره، واستأذن هاني رمزي في أن يتركه في مكتبه عشر دقائق إلى أن يرجع إليه يكون خلالها قد احتسى فنجانا من القهوة الميري مجانا على حساب وزارة الداخلية دلالة على حسن إكرام ضيوفها، وتركه مسرعا متجها لمكتب زميله هشام الجندي مأمور قسم أول شبر الخيمة ليطلعه على فكرته والتي توقع مسبقا أن تثير استهجانه في البداية ولكن محمود الدمرداش كان قد عقد العزم ألا يتركه إلا وقد أقنعه.

* * *

عندما استمع هشام الجندي لما يعتمر في عقل محمود الدمرداش وينتوي أن يفعله ظن للحظات أن زميله في العمل لابد قد أصابه الجنون!

كان ما ينتويه محمود الدمرداش هو ألا يكتفي بأخبار هاني رمزي الصحفي الشاب ببعض التفاصيل التي تخص قضية رشاد البسيوني وحسب، بل كان يرغب في السماح لهاني رمزي بمقابلة رشاد البسيوني وجها لوجه!

-وما الفائدة من مقابلة هاني لزفت، قل له أنت التفاصيل كفاية.

هكذا تساءل هشام الجندي في تعجب واستياء من كون زميله ليس على المستوى المطلوب من الاحترافية في عمله الأمني الحساس!

كان محمود الدمرداش يعوّل كثيرا على هذه المقابلة لأمرين حسبما شرح لهشام الجندي، أولها أن يبوح رشاد البسيوني بأي تفاصيل لهاني رمزي أملا في أن

obeikan.com

تصل قضيته للإعلام فيطمئن على عدم بقائه خارج الإطار القانوني عندما يتم ترحيله للأمن الوطني بل ربما قد تجذب قضيته بعض منظمات حقوق الإنسان، وفي نفس الوقت تصل أخباره لمن يقف وراءه، أما الأمر الثاني والذي كان يعوّل عليه محمود الدمرداش كثيرا هو نشر خبر القبض علي رشاد البسيوني في جريدة واسعة الإنتشار كجريدة الشعب اليوم مما قد يدفع بعضا من الأهل والأقارب أو الأصدقاء للسعي لزيارة رشاد البسيوني في محبسه وساعتها يمكنهم التقاط طرف خيط يدلهم على حكايته وأصله وفصله بالكامل.

احتاج الأمر لما تجاوز النصف ساعة من النقاش حول الأمر بين هشام الجندي ومحمود الدمرداش وإحراق عدة سجائر حتى فرغت علبة الأول كي يقتنع في النهاية باقتراح صديقه مرغما، ولكنه لابد من أن يأخذ بنفسه كلمة رجل من هاني رمزي الصحفي بأن الخبر الذي سينشره لابد أن يُكتب نقلا عن "مصدر أمنى رفض ذكر اسمه" وألا يذكر اسميهما على الإطلاق، وهو ما وافقه عليه محمود الدمرداش.

عندما توجه الاثنان للمكتب حيث ترك محمود الدمرداش هاني رمزي كان في انتظارهما مفاجأة عجيبة!

* * *

حينما دخل الضابطان المكتب تفاجئا عند رؤية هاني رمزي، فقد حرر الصحفي الشاب الطفل الساكن داخله وهزمته فطرته فأراح رأسه إلى الخلف مستغرقا تماما في النوم وصوت الشخير يتصاعد في تناغم من حلقه.

محمود الدمرداش تعجب بشدة من كم الإرهاق الذي يتمكن من هذا الصحفي الشاب والذي دفعه للنوم بهذه السرعة في مكتب ضابط شرطة!

أما هشام الجندي فقد شعر بمزيج من الحسد والحقد تجاه هاني رمزي على كم السلام النفسي الداخلي وراحة الضمير التي تجعله ينام بهذه السرعة ويستغرق في نومه ويصدر هذا الشخير المنتظم الذي يتمنى هشام الجندي أن يأتي بمثله أثناء نومه بدلا من الشخير المستمر والمتواصل في وجه الجميع طوال وقت استيقاظه!

-يا عم هاني، النوم من غير غطاء يصيبك بالبرد.

انتفض هاني رمزي من موضعه عندما وضع محمود الدمرداش يده على كتفه في ود ليوقظه، فاعتدل متمتما في ارتباك. .

-لا مؤاخذة يا محمود بيه، و الله غصب عن الواحد، سيادتك قلت فيه قهوة وعلى حساب الدولة، لكنها تأخرت غالبا في الجمارك. .

تبادل محمود الدمرداش وهشام الجندي نظرات وابتسامات، وقال الأخير في سخرية. .

-نوم من غير غطاء في قسم شرطة لن يتوقف فقط عند البرد يا محمود بيه، الموضوع فيه كوابيس وأنت متخيل الكوابيس التي تجيء في قسم شرطة شكلها إيه، كل قسم لازم يبقى فيه فرج.

شعر هاني رمزي حينها بسخونة من أثر الإحراج الشديد تكاد تحرق وجهه وشحمتي أذنيه، فكرر اعتذاره لهما مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى وصل إلى

obeikan.com

العاشرة إلى أن قاطعه هشام الجندي قائلا . .

-هاني، موضوع رشاد البسيوني المحتجز عندنا أنت عارف أنه يصنف كقضية أمن قومي.

قالها هشام الجندي في ثبات وجدية وانتظر برهة بعدها كي يعقّب هاني رمزي ولكنه لم يفعل، كان الأول ينظر للثاني على أنه لا يزال صحفي شاب، وهو ما يصعّب بشدة وضعه تحت السيطرة بخلاف الصحفيين القدامى المكبلين أغلب الوقت بقيود المصالح المتبادلة، هو لازال في بداية حياته المهنية ويصعب السيطرة عليه بسبب حماسه المبالغ فيه وقناعاته المهترئة بأنه قادر بقلمه الفرنساوي الرخيص على تغيير الواقع وتصحيح كل تلك الأخطاء التي تعج بها الحياة، معذور مخدوع لا يعلم بأن هذا العالم قد قدر له أن يرتع في مستنقعات فساد لا نهاية لها إلى قيام الساعة!

أما هاني رمزي وعلى الرغم مما أبداه من اهتمام ظاهري لكلمات هشام الجندي وبذله مجهودا خارقا لينحت في كل قسمات وجهه علامات الجدية، إلا أنه في الحقيقة لم تؤثر فيه على الإطلاق تلك الكلمات وقد أعتاد مثلها من جميع العاملين بأي جهة حكومية كي يدّعون لأنفسهم أهمية ليسوا أهلا لها، العاملون في مجلس المدينة يعتقدون هم أيضا ألا يجب الحديث عن مشكلة القمامة الأبدية التي تتكاثر ذاتيا معتبرين أن هذه القضية تصنف كأمن قومي!

لكن الفرق ها هنا أن هاني رمزي كان يدرك جيدا شروط اللعبة "دعني أخدعك، دعني أنخدع"، وعندما طال صمت هشام الجندي بادر هاني رمزي بالتعقيب . .

-يا هشام بيه الذي ستأمرني به معاليك هو ما سأفعله. .

ثم نقل نظره بين هشام الجندي ومحمود الدمرداش قائلا في ثبات عاقدا حاجبيه في جدية واضحة. .

-أهم شيء مصلحة البلد خاصة ضد أولاد الكلب هؤلاء.

كان كلا الضابطين يستشعران الكذب الواضح الذي ينضح من كلمات هاني رمزي، ولكن لم يمنعهما هذا من شرح الموضوع له بالتفصيل منذ إلقاء القبض على رشاد البسيوني، فلم يكن لدى هشام الجندي بالفعل أي معلومات هامة أو خطيرة يخشى أن يعرفها هاني رمزي، بل في الواقع كان الأخير هو وسيلتهما الوحيدة والمتاحة حاليا للوصول لأي معلومة قد يتحصل عليها من رشاد البسيوني حين يقابله.

اندهش هاني رمزي كثيرا عندما استمع لعرض هشام الجندي غير المتوقع بمنحه الفرصة لمقابلة رشاد البسيوني وجها لوجه، شعر حينها أنه شخص مهم للغاية، وجعل يتخيل السبق الصحفي الذي سيتحصل عليه من وراء هذه المقابلة الحصرية مع هذا العنصر الإرهابي الخطِر، وكيف سيفجر المفاجأة أمام رئيس تحرير جريدته بأنه هو من نجح في استخلاص المعلومات من هذا الإرهابي بعدما فشلت معه الشرطة وأجهزة الأمن جميعها!

يتخيل نفسه وهو يتقلد الأوسمة والنياشين من وزير الداخلية تارة ومن رئيس الجمهورية المؤقت تارة أخرى لمجهوده العظيم في كشف غموض هذه القضية المستعصية!

سوف يفتخر به بشدة نقيب الصحفيين مشيدا بالدور الهام والعظيم الذي تقوم به الصحافة في خدمة تراب هذا الوطن، ولسوف يستغل نقيب الصحفيين هذا الحدث للمطالبة بمزيد من الحقوق للصحفيين وإلغاء عقوبة الحبس في قضايا النشر نهائيا. .

أحلام وطموحات يتمنى هاني رمزي ألا تتحطم سريعا على صخرة الواقع المرير!

* * *

لم يكن هاني رمزي الصحفي الشاب المتحمس لسبقه الصحفي الذي يوشك أن يرفع أرصدته وأسهمه في بورصة الصحافة يشعر بأي خوف أو رهبة من الجلوس منفردا مع رشاد البسيوني هذا، هو قابل كثيرا مجرمين عتاة ولن يختلف الأمر كثيرا بالطبع مع إرهابي مكبل بالأصفاد حتى وإن كانت المرة الأولى التي يفعلها، وقد طلب هاني رمزي من الضابطين أن يكون المتهم مكبل اليدين وأن يتم تفتيشه مرة ثانية وثالثة جيدا خوفا من أن يكون قد أخفى متفجرات أو قنابل عنقودية في أماكن خفية عن الأعين كمؤخرته! . . هو أقسم أنه قد رأي فيلما هوليوديا حدث فيه أمر مماثل ويخشى تكرار الأمر معه كما صارحهم.

كما طلب منهم أن ينتظروا على أهبة الاستعداد على باب الغرفة تحسبا لأي فعل متهور قد يأتي به رشاد البسيوني، وقد تعامل الضابطان مع هذا المطلب الأخير بسخرية لأنهما لم يكونا في حاجة لهذا المطلب من هاني رمزي لأنهما أحرص الناس على سلامته وفى غنى تام عن أن يُلحَق به أي ضرر، ليس حبا فيه بالطبع، ولكن خوفا من التعرض للتحقيق من الوزارة.

لكن الحقيقة اختلفت الأمور كلية حين دخل الغرفة المحتجز بها رشاد البسيوني، فقد اكتشف هاني رمزي أن هناك فجوة شاسعة لا بداية لها ولا نهاية بين ما توقعه وما وجده حين رأي رشاد البسيوني!

كان الأخير معتدلا في جلسته، مستقيم الظهر، بياض بشرته مع شعره ولحيته الخفيفة غير الشعثاء التي تميل للون البني وتلك النظرة الهادئة الواثقة غير المتهجمة ولا متجهمة جعلت هاني رمزي يعيد التفكير في رأيه الذي كونه مسبقا عن رشاد البسيوني، لا يبدو ككادر من كوادر الإخوان المسلمين مثلما أخبروه كما لا يبدو على الإطلاق أنه عنصر إرهابي خطر أو متهم بقضية تهدد الأمن القومي، فهؤلاء يميزهم هاني رمزي إما بابتساماتهم اللزجة وإما بالجبين المقطب والنظرات المتربصة الحادة المتشككة واللحى الشعثاء الثائرة، هو أقرب لرئيس تحرير شاب لجريدة التايمز البريطانية واسعة الانتشار وإن كان ينقصه رابطة عنق تزين هذا القميص أو يبدو كابن لإحدى الإنجليزيات التي تزوجت من مصري مجبرة كي يصحح خطأه معها!

جلس هاني رمزي أمام رشاد البسيوني وأخرج أولا الكارنيه الخاص بالجريدة واضعا إياه على المكتب أمام الأخير، الذي أكتفي بإلقاء نظرة خاطفة على الكارنيه ثم عاد مرة ثانية ليمعن النظر في هاني رمزي.

-أنا هاني رمزي. . صحفي في جريدة الشعب اليوم.

لم يبد أن رشاد البسيوني قد استمع لكلمات هاني رمزي. . !

-ألن تسخر على الأقل من اسمي وتقول لي "هاني رمزي الممثل؟؟، وغبي منه

فيه وهكذا ؟!

-.....

كان وجه رشاد البسيوني يخلو من أي تعبير حتى الامتعاض، وكأن هذه الدعابة السخيفة لم يسمعها من الأساس!

-طيب يا أستاذ رشاد، و الله أنا صحفي ولست مخبرا، لا يوجد مخبر بالأناقة والهيبة التي أبدو عليها، أنا أعرف ذلك، فقط طالب منك أي تصريح كي أنشر الخبر وأقبض الخمسمائة جنيه المتعطلة من أكثر من شهرين.

-.....

-هم أخبروني أنه عندما تم القبض عليك وجدوا عندك أجهزة متطورة جدا، وقالوا إن قضيتك ستُحوّل للأمن الوطني كقضية تخابر، قل لي أي تصريح وحياة والدك ولك عندي الحلاوة، مدير التحرير سيغتصبني ويضع عصا المقشة في أي مكان سيلاقيه أمامه لو عرف أنني قابلتك وفشلت في الحصول على أي تصريح، وأنا لا أحب فبركة الأخبار، على الأقل في بداية حياتي.

كانت مشكلة هاني رمزي الأبدية أنه يتحدث أكثر مما يستمع والمطلوب منه كصحفي هو العكس!

-صدقني يا أستاذ هاني لن تستطيع أن تفيدني بأي شيء، لا تضيع وقتك الثمين.

قالها رشاد البسيوني في ود فشعر هاني رمزي بالسعادة لكلمات رشاد البسيوني القليلة بعدما ظنه أبكم لا يتحدث، فتحدث إليه راجيا. .

obeikan.com

-طيب حاول فقط تعتمد علي ولو مرة أولى وأخيرة ولن تخسر شيئا، قبل ما تذهب لسلخانة أمن الدولة.

. . . . . -

-طيب أنت مظلوم؟! . . القضية ملفقة لك؟! . . ضجة مفتعلة من الداخلية لشيطنة الإخوان بعد رابعة والنهضة؟! . . قل أي حاجة أرجوك. .

لم يجبه رشاد البسيوني، فقط نهض واقفا من جلسته دلالة على أن الحديث قد انتهى، فشعر هاني رمزي بيأس بالغ وبإحباط جم فنهض يستعفطفه راجيا . .

-يا أستاذنا والله كلنا عارفين أنكم ناس محترمة وأهل دين، هي الداخلية لا تعرف طريقة تشوه سمعتكم بها فيتهمونكم الكفار بأنكم إرهابيون، قل لي فقط أي حاجة ووالله. . قسما بالله. . ورب الكعبة لأشردهم لك في الجريدة.

-أستاذ هاني، والله لن تحصل مني على كلمة إضافية، الموضوع أخطر وأكبر من تصورك ومن تخيلك ومن تخيل الجميع و . .

-طيب أنت مهدد بحاجة؟! . . الاعتداء على أهلك، تعذيبك؟! . . لو تكلمت فيه ناس سيؤذونك؟! . . تكلم معي ووالله لأحميك برقبتي . .

قاطعه هاني رمزي في استجداء . .

-أنا عندي طلب. .

تلقف هاني رغبته في لهفة معتقدا أنه قد بدأ يلين مستجيبا لتوسلاته. .

-يا باشا أنا خدام التراب الذي تمشي عليه. . تحت أمرك طبعا.

-ممكن أسلّم عليك؟! . .

سأله رشاد البسيوني في همس!

-إيه ؟!

تلقى هاني رمزي مطلب رشاد البسيوني باندهاش وقد تدلى فكه السفلي وارتفع حاجباه في دهشة من غرابة المطلب غير المتوقع، ولكن خطر على بال هاني رمزي أنه ربما كان يريد أن يسلمه رسالة في يده لا يستطيع أن ينطق بها شفاهة خوفا من أن تكون جلستهم مسجلة، فأسرع إليه هاني رمزي متخليا تماما عن أبسط مباديء الحرص والحذر وبسط إليه كفه للمصافحة فقبض رشاد البسيوني براحتيه المكبلتين بالأغلال برفق على كف هاني رمزي وتلاقت أعينهما للحظات حاول خلالها هاني رمزي استلام أي رسالة من عيني رشاد البسيوني لم يحاول الأخير إرسالها، دقيقة مرة على هذا الوضع.

-أنت قلت أنك ستساعدني، نفّذ وعدك.

لم ينل هاني رمزي الوقت الكافي للاندهاش أو الفهم أو الاستفسار عن قول رشاد البسيوني الأخير بعدما اقتحم هشام الجندي الغرفة في عنف ليجد رشاد البسيوني يصافح هاني رمزي والأخير يبدو مذهولا من المفاجأة، وما لبث هشام الجندي أن أنقض على هاني رمزي في عنف ليرى ما الذي أخذه من يد رشاد البسيوني ليجد كفه خاليا !

* * *

Obeikan.com

-أنا قولت لك يا غبي يا متخلف . . يا حمار لا تقترب منه؟! . . ماذا كان يريد منك ؟!

كان هاني رمزي قد تمالك نفسه وقد تقمص ثانية دور الصحفي المخضرم صعب المراس قائلا بهدوء مصطنع. .

-يا هشام باشا، قلت لمعاليك للمرة الألف إنه طلب مني أشوف آثار ضرب واعتداء عليه وكدمات على رقبته، أنتم عذبتموه؟!

أصدر هشام الجندي صوتا حلقيا قبيحا دلالة على اعتراضه، وصاح غاضبا..

-اعتداء عليه بـ(عضو حساس عند أم رشاد البسيوني). . ألم يطلب منك معاينة (لفظ دارج قبيح بمعنى المؤخرة) لكي تتيقن من اعتدائي عليه. .

-اهدأ يا هشام بيه. . الموضوع لا يستأهل عصبيتك يا باشا لخاطر عالم لا مؤاخذة مثل هؤلاء.

قالها محمود الدمرداش في غضب مصطنع محاولا تهدئة هياج هشام الجندي المبالغ فيه كي لا يصل به الحال ويتهور في ردة فعله ويحدِث لرشاد البسيوني أو لهاني رمزي ما لا يحمد عقباه.

-أستأذنكم أنا يا باشاوات.

قالها هاني رمزي في براءة مصطنعة وهم بالانصراف، ولكن هشام الجندي قفز من موضعه سابقا هاني رمزي إلى الباب ليركله – الباب – بقدمه مغلقا إياه بعنف، وأمسك بتلابيب هاني رمزي الذي ألتصق بالحائط مرتعدا من هول

الصدمة، هشام الجندي ثور هائج مُغيَّب عن وعيه لا يرى أي شيء أمامه وقد فقد السيطرة على تصرفاته من شدة الغضب ومسدسه تلتصق فوهته تماما في عنف برأس هاني رمزي!

-علي الحرام من ديني أدفنك هنا إن لم تقل لي ماذا قال لك عندما اختفى (ميتين) أم صوتكم.

-يا باشا قسما بالله ما حصل غير الذي قلته لك، ورحمة أبويا ما حصل أكثر مما قلت.

كان هاني رمزي في تلك اللحظة قد نسى تماما أنه صحفي تحت التمرين بواحدة من أشهر الجرائد اليومية الخاصة وأكثرها توزيعا وانتشارا، كان مشلول التفكير تماما وعقله الباطن قد استدعى إلى مخيلته حكايات الموتى الأحياء الناجين من قبور أمن الدولة، وما كان يحدث جهارا نهارا من انتهاك نفسي وجسدي في أقسام الشرطة في عصر ما قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير، تستدعي ذاكرته أفلام الكرنك وإحنا بتوع الأتوبيس والبريء، ويحاول جاهدا السيطرة على مثانته كي لا تفرغ بولها أمام هذين الضابطين فتكون وصمة عار وزلة ومذلة له ولتاريخه وحاضره ومستقبله.

كان هشام الجندي قد تملكه الجنون بعدما شعر أنه قد خدع من هذا الصحفي الشاب الذي استغل ثقته فيه أسوأ استغلال!

حاول محمود الدمرداش أن يفصل بينهما إلى أن نجح أخيرا لتتراخى قبضة هشام الجندي التي تمسك بقوة تلابيب هاني رمزي محاولة أن تخنقه وقد

أوشك أن يفشل الأخير في التقاط أنفاسه.

-ما اتفقنا عليه فقط هو ما ينشر يا هاني، أنت يكفيك المشاكل التي ورطت نفسك فيها، أمشي حالا.

كان هذا محمود الدمرداش الذي كان يخشى على خطته من الفشل أكثر من خوفه على سلامة هاني رمزي، وقد كان يعوّل كثيرا على الأمل الثاني المتاح فقط الآن بأن يحاول أي من أقارب رشاد البسيوني أو أصدقائه الاتصال به، وإلا سيضطرون لترحيله إلى الأمن الوطني في الليلة التالية على الأكثر دون أن يتحصلوا على أي معلومات مما سيظهرهم أمام زملائهم في الأمن الوطني كفاشلين غير جديرين بأماكنهم!

* * *

حزين مكسور حامل لهمومه مر هاني رمزي على الجريدة أولا بعد أن خرج من قسم الشرطة سليم البدن ليسلم العمل الخاص بهذا اليوم وعلى رأسه الخبر الخاص بالقبض على أحد العناصر الإرهابية عضو جماعة الإخوان المسلمين المحظورة.

لم يستطع هاني رمزي أن يخبر رئيسه في الجريدة عن المقابلة التي جمعته وجها لوجه مع المتهم رشاد البسيوني، وما صاحب ذلك من فشل مخز في الحصول على أي معلومات منه.

"القبض على رشاد البسيوني أحد العناصر الإرهابية المنتمية لجماعة الإخوان المسلمين المحظورة"

obeikan.com

"صرح مصدر أمني رفض ذكر اسمه أن قوات الأمن التابعة لقسم أول شبرا الخيمة قد نجحت في إلقاء القبض على رشاد محمد رشدي البسيوني أحد العناصر الإرهابية المنتمية لجماعة الإخوان المسلمين المحظورة والذي كان يدير بشقته اجتماعات لعناصر التنظيم الهاربة للتخطيط لأعمال إرهابية من شأنها تكدير السلم والأمن العام. . . "

هكذا جاء الخبر مختصرا ومقتضبا، عله يكون فاتحة خير على هاني رمزي وعلى جهاز الشرطة كذلك متمثلا في هشام الجندي ومحمود الدمرداش لاستقبال سيل من المعلومات التي ستساعدهم في فك لغز هذه القضية الغامضة المستعصية في الأيام التالية.

* * *

الغضب والشعور بالذل والإهانة تكاد أن تعصف به، كان هاني رمزي يلوم نفسه كثيرا على سلبيته تجاه ما فعله معه الرائد هشام الجندي، كان لابد له ألا يظهر أمامه بمظهر الضعيف هكذا حين هدده وحاول إرهابه بمحاولة الاعتداء عليه.

يعيد المشهد في عقله مرات عديدة، يحاول في كل مرة فيها تخيل أحداث أخرى كان فيها قوي الشكيمة رابط الجأش غير هذا الفأر المذعور الذي انكمش بين قبضتي هشام الجندي!

كان عليه أن يبدو كالصحفيين ذوي الثقل الذين لا ترهبهم تهديدات الأنظمة الحاكمة أو المعارضة أو المجرمين، أن يقتنع بأن لديه قلما تعادل قوته الأسلحة النووية والذي إن أحسن استخدامه للدفاع عن نفسه فلن يبقى ولن يذر على

الأرض من مهدديه ديارا !

كان يلوم نفسه بقسوة على أنه لم يعل صوته مهددا ومتوعدا حتى ينكمش هشام الجندي أمامه رعبا وينهار محاولا استرضاءه واستعطافه خوفا من الفضائح والمشاكل التي ستنهي مشواره المهني قاضية على طموحه الأمني والتي سيجرها عليه قلم هاني رمزي الذي لن يبرح يصول ويجول على صفحات الجرائد فاضحا جهاز الشرطة وفساد أفراده الذي يتجسد في شخص مأمور قسم أول شبرا الخيمة وكيف ستضحي القيادات الشرطية في وزارة الداخلية بهشام الجندي ويجزون عنقه في محاولة لاسترضاء هاني رمزي لكبح جماح غضبه ولتلجيم قلمه الثائر.

يتخيل هاني رمزي نفسه حينها وهو يحكي على الفضائيات وقائع سوء استغلال هشام الجندي لسلطاته ونفوذه وكيف سيتصل وزير الداخلية شخصيا به ليؤكد على الهواء لشريف عامر ولإبراهيم عيسى وليوسف الحسيني ولمجدي الجلاد وللميس الحديدي ولخالد صلاح بأن هذه الواقعة لا تتعد كونها حادثة فردية وأنه لن يتستر على أي واقعة فساد شرطي، وأنه لسوف يقدم الضابط لجهات التحقيق لتصرفاته غير المسئولة وغير المنضبطة والتي لا تتماشى مع نهج وزارة الداخلية بعد ثورتي الخامس والعشرين من يناير والثلاثين من يونيو، وإضافة إلى ذلك فأنه سيؤكد على احترام الشرطة للدور الذي تقوم به الصحافة والصحفيون الشرفاء من أمثال هاني رمزي.

للأسف قد فوّت هاني رمزي بضعف شخصيته الفرصة حينها كي يتخذ موقفه الحاسم!

Opelkan.com

ماذا كان سيضرك يا هاني أيها الجبان إن لم يقتلك الخوف وتحديت هشام الجندي؟!

هل كان سيضربك ؟!

هل كان سيعذبك!؟

هل كان الأمر سيصل به لإدخال عصا المكنسة الخشبية في فتحات حساسة من جسدك ؟!

لن يتعدى الأمر حفلة تأديب بالضرب يشارك فيها جميع العاملين بقسم أول شبرا الخيمة، نظارة شمسية متهشمة لا يتعدى ثمنها العشرة جنيهات وكدمات وتورمات يمكنه استغلالها أفضل وأروع استغلال وما تلبث أن تزول بعد أسبوع أو شهر على الأكثر، ولكنها في المقابل سوف تتسبب في شهرته وترفع أسهمه في الوسط الصحفي وقد تتسبب في تثبيته في الجريدة، ويعرف عند الجميع بالصحفي ضحية التعذيب في أقسام الشرطة على أيدي زبانية الداخلية !

ماذا كان سيحدث له إن تطور الأمر لأسوأ حالاته على الإطلاق وعذبه هشام الجندي وأذله بإدخال عصا المكنسة الخشبية في فتحات حساسة بجسده وقام بتصويره بالهاتف المحمول ووزعها على زملائه عن طريق البلوتوث أو رفعها أحدهم على اليوتيوب؟!

ساعتها سيقف هاني رمزي بشجاعة في مواجهة كاميرات الصحافة والتليفزيون مؤكدا أنه لا يخجل مما حدث له، بل ويؤكد أنها ضريبة يدفعها كل صحفي شريف لإتقانه وتفانيه في عمله ولسعيه لفضح ممارسات الداخلية غير المنضبطة،

ويؤكد لنفسه أنه رجل لا يخجل من كشف عورته، بل من كشفها هو الأحق بأن يخجل من قبيح صنعه!

سوف يعري بشجاعة مرة ثانية مؤخرته في وجه كاميرات الصحافة والإعلام ليشاهدوا ويشهدوا بأنفسهم على هول الاعتداء وآثاره.

كم أنت فاشل وجبان يا هاني يا رمزي!

عاد هاني رمزي مرهقا محملا بأطنان من الهموم إلى شقته التي يتشاركها مع اثنين من أهل قريته الذين نزحا إلى القاهرة سعيا وراء الرزق، وهما حسام عبد المعطي والذي يعمل مدرسا بإحدى المدارس الخاصة، ومعاذ عبد الجليل الصيدلي والذي يعمل في صيدلية ليلا ولا يأتي للشقة إلا لينام ست ساعات متواصلة خلال النهار ليواصل العمل ثانية طوال الليل.

كان معاذ عبد الجليل صديقهم الصيدلي يمكن التعرف على شخصيته من اسمه بشكل كبير، قِلة من العائلات تسمي ابنها باسم (معاذ) في الثمانينيات ما لم تكن تابعة للتيار الديني المتيم بالسلف الصالح آنذاك، تلك الحقبة الزمنية التي اعتقد فيها البعض أن تسمية ابنائهم باسماء الصحابة والتابعين من السلف الصالح تقربهم إلى الله زُلفى فأنجبوا "معاذ وبلال ونجاد والبراء وجعفر وحمزة ومصعب وربما القعقاع"!

لم يحد معاذ عبد الجليل كثيرا عن نهج عائلته فكان مواظبا على فروضه الدينية والسنن المؤكدة والمستحبة وإن أضطر لحلق لحيته الخفيفة مرغما بعد ٣٠ يونيو خوفا من البطش الأمني والشعبي المتحفز والمتحيز ضد اللحى في تلك

الفترة، ينفرد بغرفة مستقلة في الشقة في حين يتقاسم هاني رمزي وحسام عبد المعطي الغرفة الأخرى.

كانت شقة متواضعة تكاد تخلو من الأثاث، أما الصالة ففيها كنبة مهترئة وتليفزيون تليمصر ألوان طراز ٢٥٠٠ ق.م. لا يهتم أحدهم بإصلاحه بعد أن قرر أن يصمت إلى الأبد.

كان حسام عبد المعطي على النقيض من معاذ عبد الجليل تماما، مسلم فقط في خانة الديانة في بطاقة الرقم القومي، ولكنه في الحقيقة لا يطبق ذلك على الإطلاق على أرض الواقع، يصرف راتبه كله على زجاجات البيرة "ستيلا" والحشيش المضروب وعلى العاهرات اللاتي يحضرهن للشقة في غياب معاذ عبد الجليل، لا يصلي ولا يصوم ولا يزكي ولا ينتوي أن يحج إلى بيت الله الحرام وإن استطاع إليه سبيلا، يعتنق أفكارا إلحادية تودي به إلى نار جهنم خالدا مخلدا فيها، أما هاني رمزي فقد كان كعادته في منطقة وسطى لا إلي هذا ولا إلى ذلك!

عندما دخل هاني رمزي الشقة كانت الساعة تقترب عقاربها من منتصف الليل، وكان حسام عبد المعطي لديه رفقة كعادته، عاهرة أخرى من اللاتي كف أهلهن عن سؤالهن من أين جئن وإلى أين تذهبن بعدما قطعن ألسنتهم بحد الأوراق النقدية القاطع البتار.

-سيادة الصحفي الكبير هاني بيه رمزي، مالك وشك مخطوف؟!

جاء صوت حسام عبد المعطي لاهثا من أسفل الفتاة التي تعتليه غارقا في عرقه

وعرقها وهو ينظر إلى هاني رمزي الواقف عند باب الغرفة متهالكا منزوع الروح على غير عادته!

كان حسام عبد المعطي يكاد يجن من سلوك صديقه المشكوك فيه تجاه الجنس الآخر، وقد كان معه الحق في ذلك ولا نلومه في شيء !

فقد كان هاني رمزي بحق لغزا كبيرا صعب الفهم، كان يشارك أحيانا كثيرة حسام عبد المعطي في سجائره الكليوباترا وثلاثة أنفاس على الأكثر من الحشيش دون تأنيب ضمير، فمن وجهة نظره المتفردة لم يكن الحشيش يوما محرما! . . ثلاثة أنفاس فقط بحد أقصى تدخل السعادة والسرور على قلبه وتجعله يستغرق في نوبات من الضحك الهستيري بلا سبب منطقي واضح، بالتأكيد تؤلمه اليد التي تطبق على نصف جمجمته السفلي ولكنه يعتبر ذلك ثمنا عادلا للسعادة المؤقتة التي يستشعرها.

هي حلال إذا ما دامت لا تذهب عقله ولا تسلبه وعيه، ولذا لا يقرب البيرة!

أما اللغز الغامض فيما يتعلق بالنساء، فقد كان هاني رمزي يكتفي فقط بمشاهدتهن بين الحين والآخر وهن يتجردن من ملابسهن قطعة تلو الأخرى، لم تكن يده تمتد لتمس إحداهن خوفا من أن يسوقه شيطانه الرجيم ليقع في الزنا، ينتظر في لهفة شهر رمضان التالي ليجرب متعة أن يلمس منحنياتهن الملساء البضة بعد الإفطار بغير خوف من وسوسة شياطينه التي ستكون قد صُفدت مع بداية الشهر!

يرتكب آلاف الذنوب ولكنه يرتعد خوفا حين يفكر في أنه قد يُساق على يد

شيطانه الرجيم لارتكاب الكبائر!

بعدما يحصل على مراده ويصل لنشوته ذاتيا، يهرع إلى الحمام لينبثق منه سائل الشهوة والنشوة بمساعدة بعضا من الصابون، وينتظر بضعة دقائق ليتمالك أعصابه ويستمتع بفعلته الحرام التي كُتبَت بالفعل في صحيفته ذنبا، ولكنه يقنع نفسه بأنه سيسعى لاحقا للتوبة منها والتكفير عنها.

كان حسام عبد المعطي يعتبر عرض التعري المجاني هذا هدية منه لهاني رمزي على سبيل المجاملة، خدمة ترفيهية غير مدفوعة الأجر تنضم للسجائر وأنفاس الحشيش، لو كان حسام عبد المعطي على قدر قليل من التدين لاعتبر ذلك صدقة يتصدقها بسرور يدخله على قلب مسلم!

-أنا مخنوق جدا يا حسام. .

قالها هاني رمزي في انكسار، فنهض حسام عبد المعطي مداريا عورته مازحا. .

-ولا يهمك يا كبير، ألبسي يا بنتي، هاني محتاج يروّق.

أطلقت مديحة زفرة غيظ واستهجان من طباع هاني رمزي وميوله الغريبة والشاذة، لو كان يريد فعل شيء فلا مانع لديها على الإطلاق مرحبة به من باب التنوع، ولكن فليفعل ما يريد وهي على وضعها هكذا كيوم ولدتها أمها، وليس هناك من داع لأن ترتدي ملابسها لتخلعها مرة ثانية، قطعة الحلوى لها غلاف واحد يّفض مرة واحدة وإن تقاسمها الأطفال، ولكنها مقهورة مجبرة لن تنطق بحرف خوفا من أن تثير ثائرة حسام عبد المعطي الذي قد يصل به الأمر لضربها بقسوة إن غضب كعادته أو أن يستغنى عنها وهذا ما لا تطيقه لمتعتها

التي تتحصل عليها نفسيا وماديا!

-خذ يا باشا نفسين وروق الجمجمة. .

أعطي حسام عبد المعطي لهاني رمزي سيجارة حشيش بكر لم تفض بكارتها بعد وتركه مع مديحة مغلقا الباب عليهما وثالثهما شيطان رجيم متأهب، نظر هاني مليا لسيجارة الحشيش ثم أشعلها وسحب بعمق دخانها المعبأ بالنيكوتين والقطران والحشيش المضروب!

-أبدأ يا أخويا ولا لما تخلص ؟

أشار لها هاني رمزي بيسراه بغير اكتراث أن تبدأ، وأخذ يمعن النظر فيها وهي تتجرد من ملابسها قطعة تلو الأخرى لتظهر تفاصيلها المخفية مؤقتا الرائعة الملهمة لخيال الشعراء والرسامين والنحاتين وهو يلتهم السيجارة التهاما، درس خصوصي رفيع المستوى في الجغرافيا يدرس به كافة أنواع التضاريس بشكل عملي !

لم لا يسمحون للطلاب بتدخين الحشيش لزيادة قدراتهم الاستيعابية!

كان هاني رمزي قد بدأ يتخيل نفسه مكانها والرائد هشام الجندي يجبره على خلع ملابسه قطعة قطعة في عرض للتعري جمهوره بالزى الميري، وهو عاهرة من لاس فيجاس تتعرى في شبرا الخيمة!

لم يشعر هاني رمزي إلا بعقب السيجارة حارقا أطراف أصابعه بعدما أتى على السيجارة بأكملها في اللحظة التي أنهت فيها مديحة عرضها المجاني بالسرعة البطيئة منتظرة من المتفرج الوحيد أن يهرع إلى الحمام كعادته ليقضي وتره،

obeikan.com

ولكن الدماء كانت جميعها قد انسحبت من عروقه واحتشدت برأسه وعضوه الذكري وقد أعماه غضب جنسي عارم بعدما تخيل شعور الآلم المصاحب لاغتصابه على يد هشام الجندي، عكس الحشيش في خياله الرؤية وبدّلها فتخيل مديحة هي هشام الجندي وهو مجبر على الوقوف أمامه عاريا، فقفز هاني رمزي من مكانه ونزع عنه ملابسه في ثانية أو أقل، ثم انقض على مديحة التي قابلت هياجه بضحكة رقيعة مجلجلة متناسية تعليمات حسام عبد المعطي بتركيب كاتم للصوت على هذه الحنجرة شديدة المجون!

-الأسد الهائج وصل . .

لم يكن هاني ساعتها يدرك ما يفعله!

كان مغيبا عن الوعي تماما فاقدا لإدراكه، لا يملك السيطرة على أطرافه المنقبضة والمنبسطة والمتحركة بسرعة في جشع، كان يمر بتلك اللحظات التي يرتكب أثنائها القتلة جرائمهم بلا أي تأنيب لضمير!

دون شرح مستفيض يمكن تلخيص ما فعله هاني رمزي مع مديحة في كلمة واحدة جامعة كافية شاملة . .

"الاغتصاب" !

عندما فرغ منها وأفرغ ما يحبسه داخله أدرك حينها ما وصل إليه الأمر!

عانق، ولكنه لم يعانق وحسب!

قبّل، ولكنه لم يقبل وحسب!

فاخذ، ولكنه لم يفاخذ وحسب!

لقد وقع في الزنا!

لقد اغتصب مديحة اغتصابا وحشيا!

وكانت هي تنظر إليه مذهولة وسعيدة ومنتشية!

ليست المرة الأولى التي تتعرض هي لمثل هذا الاغتصاب الوحشي الذي لا ينقصه عنف المبتدئين، وبخبرتها التي اثقلتها السنون استطاعت أن تحوّل الاغتصاب وعنفه لمتعة لا مثيل لها، متعة لها لذة خاصة تنتظر حدوثها من وقت لآخر بدلا من الجماع التقليدي برتابته المغرقة في الملل، كل هذا وحسام عبد المعطي في الخارج يتعجب من التأوهات والصرخات التي تطلقها مديحة في غنج!

قبل أن يعود إليه إدراكه ليستوعب كارثية ما فعله، أمسك هاني رمزي بزجاجة ستيلا مجاورة وأفرغها بالكامل في جوفه من أثر العطش الذي تلي الجماع، ورغبة في العودة ثانية لحالة اللاوعي التي يتمنى أن تستمر حتى موته كل لا يفيق ويدرك جرم ما فعل!

لقد ارتكب كبيرة الزنا!

لقد ارتكب كبيرة بشرب الخمر!

لقد خان منى خطيبته وزميلته في الجريدة والتي ارتبط بها بدبلتين وحسب منذ عامين مضيا !

اليوم هو يوم ارتكاب الكبائر!

يا لهول ما فعل !

شعر هاني رمزي بتهيج شديد لأغشية معدته فجرى عاريا إلى الحمام وأفرغ البيرة وبقايا الفول التي لم تهضم بعد، لحق به حسام عبد المعطي وجعل يطرق على باب الحمام، وهاني رمزي لا يجيبه . .

-يا ابني رد، أنت قلقتني عليك، هو ماذا حصل يا زفتة ؟!

-أنا عارفة يا أخي، كان زي الفل ومرة واحدة ضرب واحدة ستيلا وجرى على الحمام!

كانت مديحة تقف إلى جوار حسام عبد المعطي مرتدية عبائتها الضيقة عمدا عند الخصر وحجابها الذي تسللت منه خصلة صفراء قبيحة من شعرها بلونه الأصفر بفعل ماء الأوكسجين!

-أنا ماشية، نكمل وقت ثاني وعليك خير . .

كان حسام عبد المعطي قد بدأ يسمع صوت طرقعة المياه على أرضية الحمام، فأشار إليها في سخط أن تذهب، وقد شعر ببعض من تأنيب الضمير لما أوصل إليه صديقه . .

-ناولني الهدوم يا حسام . .

جاء صوت هاني رمزي جامدا كالصخر من الحمام، فأسرع صديقه وأحضر له ملابسه وناولها له . .

obeikan.com

-أنت أحسن من الأول ؟!

لم يجبه هاني رمزي، وما لبث أن خرج إليه منكس الرأس صامتا كقبر، مقطب الجبين عابس الوجه، متجها للغرفة الخاصة بهما فأغلق بابها وأطفأ نورها آويا إلى فراشه دون أن ينبث ببنت شفة، وحسام عبد المعطي ينظر إليه متخيلا ما يدور في رأسه من إحساس بالذنب فتركه ليهدأ مدركا أن المشكلة دائما تكمن في المرة الأولى فقط حتى يعتاد!

* * *

كان سارية بن زنيم الدؤلي الكناني أحد قادة جيوش المسلمين في فتوحات بلاد الفرس في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة النبوية المباركة، وبينما كان يقاتل المشركين على أبواب نهاوند في بلاد الفرس تكاثر عليه وعلى رفاقه الأعداء.

في نفس اليوم، كان أمير المؤمنيين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يخطب يوم الجمعة على منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المدينة، فإذا بعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يفاجيء المصلين مناديا بأعلى صوته أثناء خطبته:

-"يا سارية الجبل، الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم".

بعد انتهاء الخطبة تقدم الناس نحو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وسألوه عن هذا الكلام الذي قاله في خطبته، فقال لهم:

-"والله ماألقيت له بالًا، شيءٌ أتى على لساني".

opeikan.com

ثم سألوا أبا الحسن سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكان حاضرًا:

-"ما هذا الذي يقوله أمير المؤمنين؟ وأين سارية منّا الآن؟"

فقال لهم ناهرا:

-"ويحكم! دعوا عمر فإنه ما دخل في أمر إلا خرج منه".

ثم ما لبث أن تبينت القصة فيما بعد، فقد قدم سارية بن زنيم على عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) في المدينة فقال:

-"يا أمير المؤمنين، تكاثر العدو على جنود المسلمين وأصبحنا في خطر عظيم، فسمعت صوتًا ينادي: "يا سارية الجبل، الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم". عندئذ التجأت بأصحابي إلى سفح جبل واتخذت ذروته درءًا لنا يحمي مؤخرة الجيش، وواجهنا الفرس من جهة واحدة، فما كانت إلا ساعة حتى فتح الله علينا وانتصرنا عليهم".

* * *

هاني رمزي في فراشه يحملق في المروحة المعلقة في السقف والتي تدور حول محورها في كسل وملل واضحين، يفكر في هذا اليوم الطويل المتكدس بالأحداث الجثام، يعتبره الخامس من يونيو ١٩٦٧ الذي لم يعاصره ولكنه شعر بكل آلامه وانكساره اليوم، إنه نكسته الخاصة في تاريخه القصير، لو كان أمريكيا لاحتار أيعتبر هذا اليوم الحادي عشر من سبتمبر ٢٠١١ أم السابع من ديسمبر ١٩٤١ يوم اغتصب الاسطول الأمريكي اغتصابا وحشيا في بيرل هاربر!؟

قبل ساعات قلائل كان الضحية المجني عليه الذي يشكو إلى الله ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس، أما الآن فهو الجاني المذنب الآثم العاصي لربه مرتكب الكبائر شارب الخمر والموصوم بارتكاب الزنا، كيف يدعو ربه دعاء المظلوم المكلوم المضطر إذا دعاه بعد الآن، من يقبل اليوم أن يرجمه أو يجلده عقابا على زناه وشربه الخمر؟!

كيف يتزوج من منى وقد أمسى زانيا حقيرا، مؤمنا بأن الزاني لا يتزوج إلا زانية أو مشركة، هل منى زانية آثمة مثله تدعي الشرف أم عليها أن تزني أولا كي تتزوجه، أم محرم عليه زواجها على الإطلاق ؟! . .

ترى هل ينبت له كرش ضخم بعد زجاجة البيرة التي شربها دفعة واحدة بعد جماعه بمديحة ؟! . . ابتسم رغما عنه حين اقتحم تفكيره هذا الهاجس الأخير الذي لا يليق بهيبة هذه اللحظة!

حملقته في المروحة التي تدور في كسل أصابته بالدوار حتى غاب في ثبات عميق دون أن يدري لينفرط حبل أفكاره المهتريء.

* * *

لا يعلم هاني رمزي ماذا جاء به إلى هذا المكان!

وجد نفسه يسير بخطى ثابتة نحو كلية العلوم بجامعة القاهرة مارا بمبني القبة الذي يميزها، الصيف لا ينقصه القسوة وقد رضخ دون مقاومة لمطالب الإحتباس الحراري، وهاني رمزي لا يستطيع التحكم بينابيع العرق التي انفجرت تفيض من كل مسام جلده، يجد نفسه واقفا في طرقة قسم الفيزياء ولا يدري ما

الخطوة القادمة، وإذا برشاد البسيوني يقف في نهاية الطرقة مشيرا له مبتسما أن يأتي إليه . .

رشاد البسيوني ؟!

كلية العلوم ؟!

ما هذا السفه؟!

وكأن أحدهم قد سيطر على إرادته، يمشي بتؤدة تجاه رشاد البسيوني حتى وصل إليه، فابتسم له رشاد البسيوني في ود وأشار إلى المكتب الذي يتوقف أمامه ليرفع هاني رمزي بصره لتستقر عيناه على لافتة على الباب كتب عليها "أ.د/ مجدي هاشم عبد العال" . .!

-من هذا ؟!

قالها هاني رمزي متعجبا من كل ما يحدث . .

-هذا الذي سيساعدنا .

-يساعدنا ؟!

-يساعدني أنا، محتاج جدا يعرف أني مقبوض علي في القسم، قل له أنني رشاد البسيوني الذي ساعدك في رسالة الماجيستير منذ سنين لما قابلك في الحسين، قل له أني عندي استعداد أفي بوعدي وأجيب على كل تساؤلاته . . ومساعدتك أنت لي اعتبرها عمل خير يساعدك تستر على نفسك على الأقل بعد الذي عملته ..

obeikan.com

انهى رشاد البسيوني جملته ومسح هاني رمزي بنظرة من أعلى لأسفل في بطء، ليفاجأ هاني رمزي بنفسه يقف عاريا تماما كيوم ولدته أمه أمام رشاد البسيوني فشعر بفزع لا خجل فيه، وعندما رفع عينه ناظرا تجاه رشاد البسيوني كان كل شيء قد اختفى !

-هاني . . هاني . . أنت يا بني آدم . .؟!

انتفض هاني رمزي جالسا في فراشه ليجد إلى جواره حسام عبد المعطي صديقه متوترا يقتله القلق، كان قلبه يكاد يتمزق من عنف قوة نبضاته والعرق يغرقه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وكأن السماء قد أمطرت عرقا في فراشه!

-مالك كنت ترتعش وتنتفض في السرير وأنت نائم ؟!

-خير يا حسام . . خير . . هي الساعة كم حاليا ؟!

قالها هاني رمزي في ضعف واستكانة متجاهلا الرد على صديقه، فنظر إليه الأخير في إزدراء وأشاح بيديه حنقا على هذا الصبي المدلل غير مكتمل الرجولة . .

-هو أنا أمك خلفتك ونسيتك يا ابني ؟؟!

تركه حسام عبد المعطي وهو يتمتم بسباب فاحش يتعلق بالطعن في شرف وسمعة أم هاني رمزي، ولم يكن هاني رمزي في حالة تسمح له بالاعتراض السلمي كعادته، ليس هذا بالوقت المناسب للشجب والإدانة وليكتف الآن بإدخار مجهوده لأشياء مهمة عليه فعلها على الفور بعدما أوشكت الساعة أن تقترب من الثامنة من صباح يوم جديد!

(٦) مجدي هاشم

في تمام العاشرة صباحا كان هاني رمزي يقف متوترا في الطرقة التي يتراص على جانبيها مكاتب أعضاء هيئة التدريس بقسم الفيزياء بكلية العلوم بجامعة القاهرة، متأبطا الملف الجلدي ذا المشابك المعدنية الذي يضم مسودات عمله بالجريدة مع عدد اليوم الذي ينفرد بخبر القبض على رشاد البسيوني، ينظر إلى نهاية الطرقة منتظرا ظهور رشاد البسيوني الذي لن يظهر!

لا يعلم هاني رمزي حقيقة ما الذي أتى به إلى هذا المكان !

الأمر أشبه بالكابوس الذي ينتهي بصفعة عنيفة على وجهك فتستيقظ لتجد خدك يؤلمك من أثر عنف الصفعة وقد ترك الكف آثاره على وجهك!

من العبث ساعتها الظن بأن ما رأيته حلما أو كابوسا، بل كان واقعا في عالم الأحلام الذي نأتي منه في زيارات قصيرة لدنيا الواقع!

كان الأمر الذي حدث له ليلا غريبا عليه، هذا لم يكن حلما أو بالأصح كابوسا، بل كان رؤية في نظره تقترب كثيرا من الواقع، بل ظن هاني رمزي أنه كان واقعا بالفعل، فقط ينقصه التأكد من ذلك، ولذا فقد دفعه الفضول للتأكد مما رآه في منامه فحمله ذلك على التواجد في نفس المكان!

تقدم هاني رمزي بخطى مرتعشة نحو نهاية الطرقة وعندما رفع بصره إلى

obeikan.com

باب المكتب الأخير الذي كان قد أشار إليه رشاد البسيوني مسبقا كانت اللافتة المكتوبة عليها " أ.د/ مجدي هاشم عبد العال" في موضعها لم تتحرك!

لم يتفاجأ هاني رمزي على الإطلاق برؤيتها، فالأمر برمته غريب مريب، بل من المثير للسخرية أن يتفأجأ! . . خطف نظرة سريعة مسحت جسده ليتأكده من أن ملابسه لا زالت في موضعها خوفا من أن يكون عاريا مرة ثانية، فكل ما رآه يتحقق ويخشى ألا يكون اختفاء رشاد البسيوني من المشهد الحالي هو الاستثناء الوحيد!

طرق الباب ثلاثا ثم انتظر ثلاث ثوان وفتح الباب دون انتظار لرد من الداخل ليجد الدكتور مجدي هاشم عبد العال يجلس إلى مكتبه ناظرا في ضيق إلى هذا الضيف الوقح.

* * *

لم يكن مجدي هاشم يشعر بالضيق والغضب كرد فعل على فتح ضيفه الباب دون انتظار إذن منه، أنت مخطيء تماما إن اعتقدت ذلك، فرد فعله تجاه نفس الفعل نسبي تماما، والعامل الوحيد الذي يعتمد عليه رد فعله ليختلف إلى النقيض تماما هو جنس الضيف!

هاني رمزي يبدو من مظهره الخارجي – وإن تناسينا وجهة نظر حسام عبد المعطي صديقه – ذكرا في خانة النوع في بطاقة الرقم القومي من سوء حظه في تلك اللحظات الحالية، ومن المعروف للجميع أن الدكتور مجدي هاشم يكره بشده كل حاملي زوج الكروموسومات (XY)، ليس للأمر علاقة بالشخص

obeikan.com

الحامل لزوج الكروموسومات هذا أو بخلقه أو تصرفاته، هو أمر غريزي لديه، وليس للأمر علاقة بعمر الدكتور مجدي هاشم الذي تجاوز الخمسين وقد بلغ من العمر عتيا وما يصاحب ذلك عند البعض من فقدان لثقته في قدراته الذكورية وانخفاض مروع وكارثي في هرمون التيستيستيرون فيسعى كل منهم لرفع ثقته بنفسه عن طريق زيادة عدد الفتيات الصغيرات المتيمات أو اللائهات بالشعر الأبيض.

ليست هذه الحقيقة على الإطلاق، فالدكتور مجدي هاشم لا يعطي الفرصة لأي شعرة بيضاء أن تفر هاربة من قيود الصبغة الداكنة التي يحرص عليها بشدة كي لا تفضح لأحد حقيقة سنه، كما أن الدكتور مجدي هاشم منذ انضمامه لأعضاء هيئة التدريس وهو مشهور وسط المجتمع الجامعي بعشقه وبتحرشاته بالطالبات من خلال استغلال كرسيه كعضو هيئة تدريس أو من خلال إشرافه على لجنة الأسر الطلابية باتحاد طلاب الكلية، وكلما كثرت الشكوى منه ووصلت حتى رئيس الجامعة الذي كان يجلس على نفس كرسي مجدي هاشم في يوم من الأيام، طالبهم رئيس الجامعة في نفاذ صبر بدليل مادي واحد يفضح مجدي هاشم هذا ولسوف يجتز عنقه ثم ينهي على مسيرته العلمية بعدها!

كثرت الأقاويل عنه ولم تتوقف يوما، ولم يحاول هو أن يضع نهاية لها، علامات استفهام عدة تتناثر وتتكاثر عن سبب امتناعه عن الزواج وإن لم يكن بينها اتهامه بالشذوذ الجنسي بسبب لسانه الذي يتدلي خارجا من فيه مع كل أنثى تمر أمام عينيه!

لا يمكن التغاضي عن نشأة مجدي هاشم وفترة شبابه على وجه الخصوص التي

ساهمت بشدة في تشكيل شخصيته الحالية، هذا الشاب الريفي الفقير الذي جاء لقلب القاهرة بحثا عن العلم وحسب والذي تجاهله الجميع أيامها ولم يجد من يصادقه غير أقرانه من المعدمين القادمين من ريف مصر مثله، ابتعدت عنه الفتيات المفعمات بالحيوية اللاتي لم يفسد قوامهن السمن البلدي ولم يعلق بأظافرهن بعضا من روث البهائم، قطع من الحلوى الشهية التي لم يستطع خلال سنوات دراسته أن يتذوق إحداهن أو أن يقترب منهن، تلك المعاناة التي عاناها والتجاهل الذي لاقاه جعله ينغلق على نفسه وينكب أكثر على العلم ولا شيء غيره، وحده هو الوسيلة الوحيدة التي تجعله مميزا وتجعل له قيمة ووزنا وسط المجتمع القاهري المغرق في مدنيته، وما أن وصل لغايته وأصبح له مكانا مؤكدا غير مهدد وسط أعضاء هيئة التدريس جعل يستغل نفوذه وسلطته أسوأ استغلال لإشباع رغباته الدفينة التي كبتها أعواما، من الظلم الواضح له اعتباره شخصية سوية ومن الخطأ اعتباره ضمن فئة الرجال المحترمين!

عندما وقف هاني رمزي أمامه شعر كم يبدو هذا الدكتور لزجا بشدة، تلك النظارة الطبية مستديرة العدسات، شعره وذقنه التي رسمها بعناية على شكل دوجلاس بلونهما الكالح السواد، فمه المضموم في احتقار لضيفه، مهمة هاني رمزي لن تكون سهلة على الإطلاق!

-أنت يا بني آدم . .

قالها مجدي هاشم في هدوء واحتقار في ذات الوقت، ولكن هاني رمزي قاطعه بابتسامة نفاق عريضة رسمها بعناية رافعا يده بمحاذاة رأسه بالتحية . .

-يا سيادة الدكتور أعذرني، أنا هاني رمزي، صحفي في جريدة الشعب اليوم . .

تبدلت ملامح مجدي هاشم في ثانية عندما نطق هاني رمزي معلنا عن مهنتة وتبعها باسم جريدته واسعة الانتشار وقد تخيل في ثوان أن ضيفه جاء لعمل تقرير عنه وبخاصة أن غروره دائما ما كان يدفعه لتخيل نفسه أعظم شأنا من آينشتين وإن لم تسنح له الفرصة بعد ليتحصل على نصف شهرته بعدما سرق مجهوده بيتر جرونبرج عالم الفيزياء الألماني والحاصل على نوبل كما يدعي مجدي هاشم في كل مناسبة!

-آه، تفضل يا أستاذ هاني، وهاني رمزي حضرتك غير هاني رمزي الممثل ولا أقارب ؟!

اجبر هاني رمزي في نفاق رخيص فمه وعضلات وجهه على الابتسام مجاملة على هذه الدعابة الثقيلة السمجة التي كادت تصم أذنيه تماما . .

-لا سيادتك، هاني رمزي الممثل قبطي وأنا مسلم، نحن أخوان في المواطنة . .

انفرجت قسمات مجدي هاشم عن ضحكة أكثر لزوجة قائلا تملق واضح. .

-شكلك صحفي كبير ودبلوماسي أكبر يا أستاذ هاني، قل لي صحيح أكيد أنت هنا لنتكلم عن بحثي الأخير المنشور . .

قاطعه هاني رمزي في أدب قائلا . .

-لا حضرتك أنا أرسلني لك واحد حبيبك . .

-واحد حبيبي ؟!

pelikan.com

قالها مجدي هاشم في استنكار، فأحبابه لم يكونوا يوما غير قابلين للعد، يتمثلون في رؤسائه المباشرين من رئيس القسم ووكلاء الكلية وعميد الكلية ونواب رئيس الجامعة انتهاءً برئيس الجامعة وإن كان أحد منهم هو من أرسله لكان أتصل به من قبلها ! . . فقاطع أفكاره هاني رمزي متابعا . .

-معاليك أنا من طرف رشاد البسيوني.

-رشاد البسيوني ؟!

قالها مجدي هاشم في تعجب واستفهام محاولا تذكر أي شخص يعرفه بهذا الاسم ولكنه بدا على ملامحه خلال ثوان معدودة أنه قد فشل تماما في تذكر هذا الشخص!

-معاليك الموضوع باختصار، في واحد قبض عليه وهو متهم بانتمائه لجماعة الإخوان المسلمين وغالبا سيتهمونه بتجسس وتخابر ومش بعيد عنهم يتهمونه في اقتحام سجن وادي النطرون . .

-وأنا ما لي أنا بالسياسة وقرفها ؟!

قاطعه مجدي هاشم غاضبا محتدا من هذا الضيف الوقح الذي جاء كي يضيع وقته بقصص وحكايات أعتزل الحديث بشأنها منذ زمن، ولكن هاني رمزي استدرك في ثبات متقمصا دور وكيل النيابة قائلا . .

-أنا لم أقل أن معاليك لك صلة بالجماعة المحظورة!

نطق هاني رمزي كلماته الأخيرة في بطء ضاغطا على كل حرف بها محاولا

اختبار رد فعل مجدي هاشم ولكن الأخير بدا عليه الغضب والملل من هذا الضيف الذي بدا له سخيفا . .

-من قالك يا ابني أني فاضي للسخافات التي تقولها، المقابلة انتهت.

أدرك هاني رمزي أن هذا الرجل لن يعطيه الوقت اللازم لممارسة دور وكيل النيابة، فاستدرك في سرعة . .

-معاليك يا دكتور ممكن تسمعني للآخر وسأمشي بعدها . .

ثم استكمل حديثه دون انتظار الإذن . .

-معاليك يا دكتور الراجل الذي قبضوا عليه أنا قابلته وقال لي إن معاليك هو قدم لك خدمة كبيرة لما قابلك في الحسين وساعدك بخصوص الماجيستير الخاص بك، وأكد علي أن أقول لك أنه تحت أمرك لو محتاج تعرف كل الإجابات على أسئلتك.

توقف هاني رمزي لبرهة حين لاحظ الاهتمام الشديد الذي بدا على وجه مجدي هاشم على أثر كلماته الاخيرة ثم تابع متسائلا في خبث . .

-هي الأسئلة هذه كانت عن ماذا صحيح ؟!

-أنا لا أعرف عن ماذا تتكلم من الأساس . .

قالها مجدي هاشم محاولا أن يخفى توتره وانفعاله الذى بدا جليا على يديه التي لم تكف عن العبث بالقلم الراقد بين كفيه وبقطرات العرق التي تكاثفت فوق جبهته . .

obeikan.com

-خلاص معاليك أنا خلصت، لكن سيادتك ألا تريد أن تعرف هو محبوس في أي مكان ؟!

رمى هاني رمزي سؤاله في تخابث ونهض منصرفا دون انتظار إجابة تاركا مجدي هاشم من ورائه ليستوي على نار هادئة والفضول قاتله، ثم ألتفت إليه قبل أن يغلق الباب خلفه قائلا . .

-عموما، هو مقبوض عليه في قسم أول شبرا الخيمة، ممكن يرحّلوه بالليل على أمن الدولة، ساعتها أعتبر رشاد البسيوني كأن لم يكن، لو محتاج تقابله ألحقه في القسم، لو لم تصدقني، فالخبر في الجريدة الخاصة بنا في عدد اليوم.

ثم عاد ووضع نسخة من الجريدة على المكتب وتركه وأغلق الباب من خلفه.

* * *

لم يكن من المعتاد أن تسمح إدارة البعثات بأي أجازات خلال البعثة إلا لعذر قهري، وكانت وفاة والدي مجدي هاشم الشاب على إثر حادث مروري مأساوي يعد عذرا قهريا استوجب حصوله على أسبوع أجازة عاد خلالها سريعا من ألمانيا إلى مسقط رأسه بقرية عرب الحجرة (عرب الجمهورية) التابعة لمدينة بلبيس بمحافظة الشرقية، كان أخوه الوحيد قد قام بالمطلوب باستلام الجثامين ودفنهما قبل وصول مجدي هاشم في ثاني أيام العزاء.

كان مجدي هاشم كعادته بارد المشاعر حتى تجاه والديه، ولما لم يحضر الواقعة ويرى بعينيه الجسدين الملفوفين بكفنيهما ولم تعلق بعينيه صورة الوجهين وقد خبا بهما بريق الحياة، ولما لم يدخل بيديه أعز وأغلى الأقربين الذين ما من

Open Kan.com

أحد على وجه الأرض مثلهما يحبانه دون انتظار مقابل أو إحسان، لم يكن يشعر بحزن وأسى يتماشى مع قسوة الموقف.

لو كان حضر أي من تلك الوقائع القاسية لربما لانت قسوة مشاعره الغريزية، ولكنه جاء ليجدهما قد اختفيا تحت الثرى.

كان يتلقى العزاء متماسكا من زملائه في الجامعة الذين حضروا من القاهرة ومن أهل قريته القادمين الراحلين مع كل صلاة، بل كان يحاول أن يرسم على وجهه التأثر كي يتفادى الإنتقاد من أهل قريته الغارقة في التقاليد الريفية الأصيلة، حتى انتهت أيام العزاء وانفض الناس من حوله وتركوه وحيدا قائما يفكر في ترتيبات العودة إلى ألمانيا.

في اليوم الخامس كان في القاهرة ينهي بعض الأوراق قبل السفر ثانية حين قابل أحد زملائه وقد دعاه ليتناولا الغداء سويا في الحسين، أكلا حتى شبعا ثم جلسا على أحد المقاهي يشربان الشاي.

كان مجدي هاشم قد حصل على منحة للدراسة بمعهد فورشونج سنتروم يولش بألمانيا ليتخصص في بحث الأجسام الصلبة، حينها بدأ أبحاثه حول ما أطلق عليه فيما بعد "المقاومة المغناطيسية العملاقة" أو "الساندوتش الميكروسكوبي" وذلك تحت إشراف عالم الفيزياء بيتر أندرياس جرونبرج، كانت المعضلة الفيزيائية الأساسية في المشروع هو الوصول لسعة تخزينية كبيرة للبيانات في حجم صغير نسبيا في وقت لم يكن فيه غير الحاسبات الآلية العملاقة، كان ذلك محور حديثه مع زميله على المقهى لمدة جاوزت الساعة استهلكا خلالها أكوابا عدة من الشاي والقهوة وأطنانا من الأوراق، وعندما

obeikan.com

انتهيا من نقاشهما العلمي دون الوصول لنتيجة وقد فرغ كل منهما من استعراض عضلاته العلمية، ودع الصديقان بعضيهما واستأذن مجدي هاشم بالانصراف عائدا إلى بلدته، ولكنه لم يترجل لمسافة تجاوز المائة متر حتى فوجيء بأحد الأشخاص يستوقفه!

-أنا عندي تعليق على بحثك.

قالها الرجل في ود، فنظر مجدي هاشم لهذا الشخص الغريب الذي استوقفه بشعره ولحيته الخفيفة بلونيهما الاقرب إلى البني وبياض بشرته مع طوله الفارع ونظارته الشمسية، وملابسه الصيفية في هذا الشتاء القارص، هذا الرجل إن لم يكن ألمانيا فعلى الأقل أمه ألمانية الأصل تزوجت من مصري مجبرة كي يصحح خطأه معها.

-أي بحث اعذرني، هل فيه سابق معرفة؟!

قالها مجدي هاشم في ضيق، لابد أن هذا الرجل الغريب يشعر بفراغ ويبحث عن بعض التسلية ما دامت ملابسه المهندمة – في هذا العصر - لا تدل على أنه متسول من الذين تعج بهم القاهرة في تلك الأيام، وإن كانت ملابسه الصيفية في هذا الشتاء القارص تثير الشكوك حول قواه العقلية أو حالته المادية.

-كل ما أطلبه هو عشرة دقائق على هذا المقهى القريب وسأدفع الحساب مقدما إن كنت تخشى أن أكون متسولا، سأقدم لك مساعدة بسيطة بخصوص بحثك.

-ومن أين عرفت أنت بهذا الموضوع؟!

قالها مجدي هاشم مقطبا جبينه في تحفز وشك . .

-صدقني لن تخسر في كل الأحوال إلا بعض الوقت.

أمام ثقة هذا الغريب وهو يتحدث في ثبات لم يملك مجدي هاشم إلا أن يستجيب له وهو فاقد تماما لإرادته وكأنه تحت تأثير مخدر ما!

جلسا لما يقرب من الساعة وهذا الغريب يشرح له كتابة على أوراق الجريدة التي كان يحملها حلا تفصيليا بالمعادلات للمعضلات التي كانت تعوق مجدي هاشم عن إتمام رسالته، ومجدي هاشم يحدق في بلاهة في وجه هذا الغريب الذي جاءه من السماء من دون موعد مسبق ليقدم له تلك الهدية على طبق من ذهب، أنهى الغريب شرحه ووضع القلم فوق الجريدة مبتسما دلالة على إنهائه لما لديه . .

-الحل بهذه البساطة إذا! . . من أنت؟!

قالها مجدي هاشم في بلاهة حقيقية، فابتسم الغريب في تأدب وتواضع قائلا . .

-اعتبرني فاعل خير.

-وكيف عرفت هذا الكلام ؟!

-يا سيدي الفاضل فوق كل ذي علم عليم.

-طيب نتعرف . .

-تقدر تناديني رشاد . . رشاد البسيوني.

-طيب ألا يوجد أي حاجة ثانية تريد أن تقولها لي؟

قالها مجدي هاشم في لهفة طفولية ثم أدرك كم يبدو عبيطا وساذجا وقد تخلى

obeikan.com

عن وقاره العلمي الذي يحافظ عليه ويصونه ليل نهار، وبخاصة كونه قد فقده تماما أمام هذا الغريب الشاب الذي يقترب منه في العمر، فاستدرك في خجل. .

-أقصد . . معلومات عنك . . .

-لما نتقابل مرة ثانية سأقول لك على كل حاجة، معلومات في كل فروع العلم لن تتخيل في يوم من الأيام أنها ممكنة الحدوث . . هذا وعد.

قالها الغريب وقد ضغط على كل كلمة من كلماته وترك الحساب وانصرف متجاهلا نداءات مجدي هاشم الذي أسرع خلفه، ثم تذكر الجريدة التي نساها خلفه بالمقهى فجرى بسرعة راجعا ليستعيدها، ولكنه عندما عاد للبحث عن هذا الغريب لم يجد له أثرا وكأنه بعضٌ من الملح وقد ذاب!

* * *

كانت الساعة قد أمست العاشرة حين جلس الرائد هشام الجندي والنقيب محمود الدمرداش والملازم أول محمد ناجي في مكتب الأول ليتفقوا على القرار الأخير بشأن رشاد البسيوني.

-الموضوع انتهى يا جماعة، الباشا كلمني من المديرية وقال نسلمه لأمن الدولة الساعة واحدة هذه الليلة، ابن الـ(سبة لأم رشاد البسيوني تصفها بالخرقة البالية) لا نستطيع أن نأخذ معه حقا ولا باطلا، نحن نلبس طرح أشرف لنا بدلا من الزفة البلدي التي سينصبونها لنا في أمن الدولة.

-يا هشام هديء نفسك، سأذهب أنا لتسليمه . .

قالها محمود الدمرداش في هدوء مبتسما، ولكن هشام الجندي رد عليه في غضب ضاربا المكتب بكلتا يديه قاطعا الطريق على أي نية لاعتراض . .

-وشرف أمي لن يستلموه في أمن الدولة غير على يدي.

تنحنح الملازم أول محمد ناجي في تأدب، فنظر إليه هشام الجندي في نفاذ صبر. .

-نعم يا ناجي بيه . . تكلم وأنجز . .

-يا هشام بيه بعد أذنك طبعا، سأتي معك أعزم الجماعة هناك على فرحي الأسبوع القادم.

نظر له هشام الجندي في ازدراء مشيحا بيده قائلا . .

-تعال تعال . . ما نحن داخلين حفلة وبالمرة تأخذ نصيبك منهم يمكن تعتاد.

ابتسم محمود الدمرداش من غضب هشام الجندي غير مدركٍ لما ستحمله لهم الأقدار!

لا يعرف سببا محددا لغضب هشام الجندي المبالغ فيه! . . انتهت مهمتهم دون الحصول على معلومات دون الإخلال بالإجراءات التي نص عليها القانون والدستور ودون ارتكاب خطأ مهني يستوجب المساءلة لاحقا، فليُنقل رشاد البسيوني إذا إلى مكان آخر لا يهمه التجاوزات وليحصلوا منه على ما يريدون من معلومات!

* * *

obeikan.com

لو أتى رئيس للبلاد ونجح فقط في أن يقضي على الرشوة لتحولت مصر إلى مدينة أفلاطونية فاضلة كبيرة!

* * *

لم يكن الأمر يحتاج لاحتياطات أمنية صارمة كالمعتاد، هذا الرشاد البسيوني مجهول الهوية ومعدوم الأهل والأقارب فلا خطر منه، سوف يأخذونه في سيارة الشرطة (البوكس) مكبلا بالأصفاد معصب العينين ويسلمونه سريعا إلى مثواه الأخير في الأمن الوطني ليعودوا أدراجهم سريعا مثقلين بإهانات زملائهم بالأمن الوطني على فشلهم في استجواب هذا الرجل!

سوف تخرج سيارة الشرطة من قسم الشرطة لتسير من أمام مجلس المدينة ثم مستشفى النيل للتأمين الصحي ثم تنحرف لشارع أحمد حلمي لتنحرف يمينا مرة أخرى لتدخل شارع زكريا حتى تصل لكشك بقالة الجزار لتنحرف يسارا لتمر إلى جوار مبنى المطافي فتجعله على يمينها ثم تدخل شارع منتزه محمد علي المواجه لكنيسة مارجرس والذي تتراص على جانبيه مجموعة من المدارس والهيئات الحكومية لتكمله لآخره وصولا لكورنيش النيل مرورا بإشارة المرور حيث تقف الفلاحة المصرية الأصيلة المطلية بالذهب لتحييهم بنفسها ملوحة بيدها لهم في تشجيع وإطراء على الجهد الذي هم باذلوه لحفظ أمن الوطن والمواطنين غير عابئة بسيرهم عكس الاتجاه مخالفين لقوانين المرور المكلفين في الأصل بحمايتها حتى يصلوا لمبنى الأمن الوطني القابع في صمت ظاهري مخادع في مواجهة الكورنيش.

الهدوء مع نسمات الليل الحانية في هذا الوقت من الصيف جعلتهم وكأنهم في نزهة وهو ما جعل محمد ناجي يتولى متطوعا قيادة سيارة الشرطة وإلى جواره هشام الجندي، تتحرك بهم سيارتهم في سلام حتى كادوا أن يبلغوا نهاية شارع منتزه محمد علي، حينها ظهرت فجأة أمامهم سيارة ميكروباص قاطعة الطريق خارجة من الشارع الذي يتوسط المسافة بين فرع شبكات مياه الشرب بشبرا الخيمة ومدرسة دمنهور شبرا الإبتدائية وهو ذاته الشارع المؤدي للمحكمة!

ضغط الملازم أول محمد ناجي لا إراديا بشدة على مكابح السيارة لتصدر إطاراتها صريرا مروعا يصم الآذان زاحفة على الأسفلت، تدور السيارة من هول المفاجأة بتوقفها المفاجيء تسعين درجة قبل أن ينجح محمد ناجي في إيقافها.

كان محمد ناجي الضابط الشاب يعتقد في البداية لقلة خبرته أن الموضوع محض مصادفة، سائق متهور غشيم يقطع الطريق بسرعة جنونية ليوقعه حظه العاثر مع سيارة شرطة، لكن الرجال الملثمون الذين زاد عددهم عن عشرة وهم يهبطون من الميكروباص في سرعة لم يدل على أن الأمر مجرد مصادفة!

رصاصات بنادقهم الآلية التي أنهمرت بغزارة وغل على هشام الجندي ومحمد ناجي لم تدل على أن الأمر مجرد مصادفة!

الضابطان اللذان قتلا مدرجين في دمائهما التي أغرقت السيارة قبل أن يتسع الوقت ليستوعب دهشتهما من هول المفاجأة لم يدلا على أن الأمر مجرد مصادفة!

سائق السيارة وأمينا الشرطة الذين هبطوا من كابينة السيارة الخلفية وقبل أن

يطلقا رصاصة واحدة من بنادقهم الآلية البكر الرشيد، والذين انهمر عليهم سيل من الرصاص لتتفجر دماؤهم مغرقة الطريق وتقضي عليهم في حينها لم يدلوا على أن الأمر مجرد مصادفة!

الملثمون الذين أسرعوا إلى رشاد البسيوني الذي لم يتحرك من مكانه والعصابة لازالت على عينيه والذي استسلم للأيدي التي قادته من سيارة الشرطة إلى الميكروباص ولم يبد مقاومة تذكر ليأخذوه مغيرين وجهته من مكان مجهول لمكان مجهول آخر لم يدلوا على أن الأمر مجرد مصادفة!

سيارات الميكروباص التي تقل ملثمين مدججين بالأسلحة الآلية لا تدل أبدا على أن الأمر من بدايته كان مجرد مصادفة!

* * *

خبر عاجل

استشهاد ضابطين وثلاثة من أفراد الشرطة تابعين لقسم أول شبرا الخيمة على يد عناصر إرهابية يشتبه في انتمائهم لجماعة أنصار بيت المقدس، الاعتداء الإرهابي الغادر استهدف القوة الأمنية خلال دورية شرطية للإطمئنان على العملية الأمنية بشبرا الخيمة، أسفر الحادث عن استشهاد جميع أفراد القوة الأمنية بعدما نجحوا في قتل ثلاثة من العناصر الإرهابية المشتركة في الهجوم، وسوف نوافيكم بالتفاصيل لاحقا . . . .

الموقع الإلكتروني لإحدى الجرائد الخاصة

* * *

openkan.com

موقع الاعتداء يكتظ بقوات الأمن التي أتت من كل صوب وحدب في محاولة للقبض ولو على أطياف الجناة أو على روائحهم المشبعة بالموت والتي لازالت عالقة بالمكان، يقف محمود الدمرداش منتصبا كأسد هائج وسط الشارع واضعا يديه في وسطه وشرر يتطاير من عينيه، الدماء تغلي في عروقه متأهبا لتمزيق أي أحد يقترب منه إلى أشلاء، غضب كاسح ينسيه هبة البكاء حزنا على زملائه، المتنفس الفطري الذي يفرغ شحنات مشاعره السلبية، رجال الداخلية بجميع الرتب يتناثرون من حوله يستجوبون كل من حضر الحادثة.

العسكري النحيل الذي امتص الفقر والجوع دماءه من عروقه والمكلف بحراسة كنيسة مارجرجس يتحدث مرتعدا إلى أحد اللواءات . .

– معاليك أنا سمعت ضرب نار ولا كأنها حرب، وفجأة الصوت اختفى، أخذت سلاحي وجريت أشوف ماذا جرى لقيت ميكروباص طائر ناحيتي، ضربت عليه نار لكن للأسف معاليك لم يوقفه، اتصلت باللاسلكي على المركز وجريت على هنا، لقيتهم خلاص انتهوا . . السر الإلهي طلع معاليك علي يد ولاد الكلب الأنجاس . . كانوا من دقايق مسلمين علي . .

واجهش العسكري في بكاء ونواح وجسده بأكمله ينتفض في عنف ويداه لا تكفان عن ارتعاشاتها، فأشار له اللواء في تجهم أن ينصرف الآن . .

اختلفت الروايات وتعددت، الخفير المكلف بحراسة مبنى شبكات مياه الشرب قال أن عددهم تجاوز العشرين، وخرجوا جميعا من الميكروباص الذي لا تتعد سعته أربعة عشر راكبا!

أفراد الأمن بالمعهد العالي للتعاون الزراعي والذين كانوا يتسامرون مع زملائهم من أمن الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد وقد كانوا يعدون حينها أكوابا من الشاي على بعض الأخشاب المشتعلة قالوا أنهم كانوا يحملون أسلحة ثقيلة ومدافع هاون وار بيجيهات!

عسكري من وحدة المطافي القريبة قال أنه قد رآهم في الميكروباص بلحاهم الطويلة وحواجبهم المتصلة وأعينهم الكحيلة وجلابيبهم القصيرة الأفغانية الهيئة!

لم يكن قد مضى أكثر من ساعتين لتضيع الحقيقة بين خيالات الشهود، لو انتظروا حتى الصباح لقيل أن الهجوم قد تم باستخدام دبابات وطائرات الفانتوم والغواصات النووية!

ومحمود الدمرداش يقف منتصبا كأسد هائج واضعا يديه في وسطه في تحفز، وشرر يتطاير من عينيه، ودماء تغلي في عروقه محاولا السيطرة على غضبه كي لا ينتزع حنجرة هؤلاء الشهود قبل أن يشويهم أحياء!

* * *

فزع هاني رمزي من نومه على صوت هاتفه المحمول الذي انطلق رنينه الساعة الثالثة قبل الفجر بقليل ليصطدم باسم فتحي السلاموني على الشاشة في هذا الوقت المتأخر من الليل!

لم يكتف فتحي السلاموني كعادته برنة واحدة فقط منتظرا أن يتصل به الطرف الآخر، بل استمر في الرنين حتى أجابه هاني رمزي وقد أزالت الدهشة أي أثر

obeikan.com

للنوم منه . .

- مصيبة يا هاني باشا.

ابتلع هاني رمزي ريقه في توجس قائلا . .

- قل يا عم فتحي ، خيرا ؟!

- لكن . .

قالها فتحي وقد بدا عليه التردد، فعاجله هاني رمزي في نفاذ صبر . .

- حلاوتك عندي يا عم فتحي، خيرا ؟! . . متصل نصف الليل وتقول مصيبة، قلقتني !

تحدث فتحي السلاموني بصوت راجف استشعر هاني رمزي فيه أثرا لبكاء !

- الموضوع لا علاقة له بالحلاوة، الأنجاس قتلوا هشام بيه الجندي وضابط معاه وثلاثة من قوة المركز وهم يرحلون رشاد زفت البسيوني لأمن الدولة من ساعتين والمخفي هرب!

- يا نهار أسود!

سقط الهاتف من يد هاني رمزي من هول الصدمة وهو يحملق في ظلمة الغرفة من حوله وقد بدأت قطرات العرق تتكاثر على جبهته، وصوت فتحي السلاموني يأتي من الهاتف مناديا هاني رمزي الذي لا يستجيب له . .

ليست المرة الأولى التي يسمع فيها خبر مقتل ضباط قُتلوا غدرا، لكنها المرة

obeikan.com

الأولى التي يسمع فيها خبرا مشابها يتعلق بشخص يعرفه ! . . الحدث واحد والوقع مختلف!

دقائق مرت عليه في وضعه هكذا في صمت تام وقد أنهى فتحي السلاموني الاتصال من جانبه.

جلس هاني رمزي في فراشه يلتقط أنفاسه في توتر، اختلط عليه الأمر وقد وجد نفسه يشعر بالرضا قليلا لموت هشام الجندي، أحدهم قد أقتص له وفعل ما كان لا يقدر على فعله، تلك مشاعر لا إنسانية ولا دينية ولا أخلاقية تتمثل في شماتة في الموت، ولكن من قال أن هشام الجندي نفسه كان يهتم يوما بالمشاعر الإنسانية والدينية والأخلاقية!

كان هاني رمزي يتمنى أن يعود هشام الجندي للحياة لدقائق معدودة ليقف في وجهه ويقول له تلك الجملة التي سمعها من الشيخ الشعراوي رحمه الله ولا يعرف هل هي حديث نبوي أم قول مأثور غير عالمٍ أنها نقلت عن الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) . .

كان يتمنى أن يقف في وجهه ويقول له بأنه إذا دعته قدرته يوما إلى ظلم الناس فليتذكر قدرة الله – خالق كل الكون – عليه مسلطا عليه شر البشر، يدخر هاني رمزي تلك المشاعر الإنسانية والدينية والأخلاقية لبقية الضحايا الأبرياء الذين وقعوا قتلى في الهجوم، من لم تتلوث أيديهم بالاعتداء على (هاني رمزي)!

عندما أفاق هاني رمزي من تأثير الخبر اتصل ثانية بفتحي السلاموني ليأخذ تفاصيل الخبر الذي قد يلحق بالطبعة الثانية وقد أنست الصدمة الأخير حذره

obeikan.com

بشأن عدم الحديث في الهواتف المحمولة، ثم اتصل بالجريدة وأملاهم التفاصيل التي حين نشرت تم تكذيبها لاحقا من قبل وزارة الداخلية!

فجأة قفز إلى عقل هاني رمزي هاجس مريب استولى حينها على كل تفكيره، هاجس اعتمد عليه لتحديد وجهته القادمة في صباح هذا اليوم!

* * *

في جنازة عسكرية مهيبة، عُزفت الموسيقى الجنائزية وتقدمها حملة الورود، حضرت الجثامين الطاهرة لشهداء الإعتداء الإرهابي الغادر ملفوفة بعلم مصر وسط حالة من الحزن.

تقدم الجنازة السيد اللواء وزير الداخلية والسيد محافظ القليوبية، والعديد من قيادات وضباط وزارة الداخلية وأقارب الشهداء وزملاؤهم في العمل، وقالت وزارة الداخلية في بيان لها "تحتسب وزارة الداخلية شهداءها الأبرار أحياء عند ربهم يرزقون، وتؤكد أن تلك الحوادث الإرهابية تزيد من عزيمة رجال الشرطة وإصرارهم على مواصلة مسيرتنا للقضاء على الإرهاب وحماية أمن الوطن وشعب مصر العظيم".

* * *

خطيبة الملازم أول الشهيد محمد ناجي تدخل العناية المركزة إصر تعرضها لصدمة عصبية عند سماعها نبأ استشهاد خطيبها الذي اغتالته يد الغدر قبل زفافهما ببضعة أيام . .

* * *

-بابا كان كل حاجة في حياتنا، نفسنا يرجع لنا.

أبناء الشهيد الرائد هشام الجندي يطالبون السيد الرئيس بسرعة القصاص من الإرهابيين قتلة الشهيد، وزوجته تؤكد أنها لن تأخذ عزاءه قبل الثأر لدماء زوجها الشهيد.

* * *

أصدر السيد اللواء وزير الداخلية قرارا بترقية اسم الرائد هشام الجندي الذي لقى ربه أثناء تأدية عمله إلى رتبة المقدم وبترقية اسم الملازم أول محمد ناجي إلى رتبة النقيب، كما قرر ترقية اسم كل من الرقيب محمدي عبد الظاهر والعريف مرزوق أبو الحسن والعريف موريس حليم ذكي الذين استشهدوا مع الضابطين برصاص الغدر أثناء تأمين دائرة قسم أول شبرا الخيمة مساء أمس إلى الدرجة الأعلى، ، كما وجه السيد اللواء وزير الداخلية إلى إقامة جنائز عسكرية للشهداء في مسقط رأسهم وشمول أسرهم بكامل الرعاية الإجتماعية والصحية.

* * *

يتناقل الجيل الحالي من شباب عزبة عرب الحجرة (عرب الجمهورية) ذكريات سنين مضت في عهد الرئيس الراحل خالد الذكر جمال عبد الناصر حين فشلت قوات الشرطة مرارا وتكرار في اقتحام قريتهم القريبة من الكلية الجوية والتي كانت – القرية - مخزنا كبيرا للأسلحة التي تكفي للقضاء على سكان الكرة الأرضية جميعهم، وما نتج عن تلك المحاولات من سقوط شهداء عديدين

من أفراد الشرطة، فأصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بقذف قريتهم بالطائرات بعدما لم يجد أمامه حلا آخر.

* * *

أنهى سعيد الفقي مكالمته مع فتحي السلاموني ووقف في شرفة منزله يكاد ينفجر غيظا وحنقا بعد سماعه نبأ هروب رشاد البسيوني اللعين، كل الشكوك التي كانت تراوده عن هذا الغريب المثير للريبة الذي يسكن جواره أصبحت يقينا!

يدفعه الغضب لأن يهوي بقبضتيه على هذه المدينة فيحيلها ركاما وحطاما وعجين من لحم وعظام بمن فيها، لقد أساء التصرف حين وشى به وقد أدرك الآن أن ذلك لم يكن القرار الأصوب حينها ولكن للأسف لن يمكنه إعادة عقارب الساعة إلى الوراء!

تبا لتسرعه!

* * *

حينما اختلى محمود الدمرداش بنفسه داخل مكتبه الذي حبس نفسه داخل جدرانه بإرادته، كان يعتصر رأسه علّه يتوصل إلى طرف خيط يبدأ معه رحلة الثأر لدماء زملائه التي سالت بيد الغدر الآثمة . . يكره الغدر بكل صوره . . يكره أن يقتل إنسان أيا كان غدرا قبل أن يحصل على فرصته الكاملة ليتوب إلى الله عن أي أثم أرتكبه طوال حياته . . يكره أن يقتل إنسان أيا كان غدرا ليترك أسرته وراءه فجأة دون كلمات وداع أو اعتذار عن تركهم دون تخطيط لمستقبلهم من

obeikan.com

بعده . .

يكره أحرف كلمة "غدر"!

يكره أن تُمنَع أي أخبار تتعلق بالغدر الذي لاقاه زملاؤه أثناء نقل رشاد البسيوني اللعين وكأنه شخص لم يكن لمجرد أن تنفي الداخلية عن نفسها تهمة الضعف أو الإهمال أو التقصير!

سلموه أحراز القضية التي لم يحاولوا أن يعرفوا ماهيتها وأخبروه في اقتضاب أنه لم تكن هناك قضية من الأساس ولم يسمحوا له بالتعقيب!

يلوم نفسه ويعنفها على أنه تعاطف نسبيا مع الحقير رشاد البسيوني ولم يفتك به مثلما كاد أن يفعل هشام الجندي!

ويا ليته فعل!

وفي ذمرة غضبه وانفعاله تذكر محمود الدمرداش اللحظة التي دخل فيها مع هشام الجندي للغرفة التي حبس فيها رشاد البسيوني ليجدا يد هاني رمزي تصافح يد الأخير الآثمة ليلتقط طرف خيط لن يهدأ أو يرتاح قبل أن يعرف إين تصل نهايته!

* * *

رشاد البسيوني منكس الرأس وقد شدوا وثاقه وشلت حركته تماما، مقيدٌ إلى كرسي خشبي في غرفة مظلمة، معصب العينين لأكثر من عدة ساعات لا يعلم أين هو، يشعر بوهن وإرهاق يكادان أن يقضيا عليه، يأتي أحدهم ملثما ويرفع

openkan.com

العصابة عن عيني رشاد البسيوني ليسقيه بعضا من الماء . .

-هات لي سكر . .

ينطقها رشاد البسيوني في وهن ولا يجد أي رد فعل من الملثم وكأن صوته لم يبرح حنجرته، ويعيد الملثم العصابة علي عيني رشاد البسيوني مرة ثانية ليعيده لظلمة قبره الذي دفن فيه حيا!

* * *

مع دقات الساعة العاشرة صباح اليوم الذي تلى الإعتداء الإرهابي، كان هاني رمزي يطرق بيد ثابتة باب مكتب مجدي هاشم، لم ينتظر ردا كعادته وحاول فتح الباب ولكن وجده موصدا . .

-أنت تسأل على دكتور مجدي يا ابني ؟!

أتى الصوت من خلف هاني رمزي ليلتفت لمصدره ليجد أحد السعاة العاملين بالقسم من الطراز المحنى الظهر من كثرة انحنائه لسنوات أمام أعضاء هيئة التدريس من اساتذة ومعيدين. .

-أنا كنت محتاج الدكتور مجدي يا باشا . .

-الدكتور مجدي لو لم يحضر حتى الساعة الثامنة والنصف اعتبره أجازة، هو كل يوم يأتي الساعة الثامنة بالضبط، وبالذات أنه عنده محاضرة اليوم الساعة الثامنة . .

شعر هاني رمزي بقطيع من الفئران يرتع ويلعب ويجري في صدره من كلمات

obeikan.com

هذا الرجل العجوز . .

-طيب أقول لك يا عم الحاج . .

وأخرج من جيبه ورقة من فئة العشرين جنيها ووضعها في جيب الساعي العجوز قائلا في تودد . .

-أنا نفسي أشرب الشاي من يدك يا عم الحاج يا سكرة . .

تهللت أسارير الساعي العجوز لرؤية العشرين جنيها، فقال في سعادة . .

-تعال يا ابني . .

وأسرع الساعي العجوز صبحي الديدموني يرشد هاني رمزي أمامه إلى الغرفة الأضيق من قبر أو البوفيه الخاص بالقسم كيفما اتُفق، أخبره هاني رمزي بأنه صحفي بإحدى الجرائد القومية العريقة حين استشعر أن صبحي الديدموني لن يعرف بالطبع جريدة باسم الشعب اليوم رغم شهرتها، وأخبره بعدما استأذنه في أن يلتقط له صورة بهاتفه المحمول بأنه سيكتب مقالا عن معاناة هذا الرجل المكافح صبحي الديدموني وكفاحه لتربية ابنائه وتزويجهم، فتهللت أسارير صبحي الديدموني وصدّقه وود لو أن يضعه فوق رأسه عرفانا بجميل لم يتم بعد!

-إلا قل لي يا عم صبحي، هو دكتور مجدي هاشم من أين أصلا ؟

فأجابه صبحي الديدموني وقد شعر بأهمية نفسه متفاخرا بسنوات عمله الطويلة بالكلية . .

-دكتور مجدي هذا أنا أعرفه يا ابني من ساعة ما عينوه معيدا في القسم من

obeikan.com

سنين طويلة، كان ساعتها قادم من الفلاحين، تقريبا من الشرقية، وكان حاله أيامها غير حاله هذه الأيام.

لم يبد هاني رمزي تعليقا اعتراضا على سخرية صبحي الديدموني من بلاد الفلاحين وبخاصة أن هاني رمزي قد قضى سنوات حياته حتى أنهى دراسته الجامعية بقرية بجيرم التابعة لمدينة قويسنا بمحافظة المنوفية ولا زال معتزا بأصوله الريفية بل كان ينتوي في المستقبل حين يترأس الإدارة في مؤسسة صحفية كبرى المفاخرة بأصوله تلك دليلا على كفاحه حتى يصل لما وصل إليه، كان يدرك جيدا أن أهل القاهرة الكبرى يعتبرون كل من هم خارجها من الفلاحين الذين يزرعون ويحصدون ويعيشون وسط البهائم في زرائبها حتى وإن كانوا يسكنون في أحياء في محافظاتهم أرقى بكثير من مثيلاتها في القاهرة، لسوف يثأر لنفسه من هذه السخرية لاحقا ليطرد تلك الأفكار من رأسه ليكمل استماعه لحديث صبحي الديدموني . .

-بعد ما سافر تقريبا ألمانيا أو أمريكا . . هي دولة في أوروبا مثلما أتذكر، راح وأخذ الماجيستير ورجع من هناك حاجة ثانية خالص، يتكبر على أمثالي، نسى أصله، وطبعا سيرته مع البنات في الجامعة على كل لسان لكن ولا واحد يعرف يمسك عليه حاجة، تحس أنه عنده حساسية أو يقرف من جنس الرجالة، أي واحد عنده شارب تقريبا بيفكره بالصراصير الموجودة في قسم الحشرات عندنا . . هيء هيء هيء . .

قال صبحي الديدموني دعابته السمجة وضحك في سخرية ضحكات من القلب تكشفت على أثرها بقايا أسنانه التي قضت عليها سجائر الكليوباترا وأحجار

المعسل فردمت عليها أطنانا من القطران، فابتسم هاني رمزي مجاملة ونفاقا رغما عنه قائلا . .

-طيب يا عم صبحي، أنا كنت محتاج نمرته لأنه بروح أمه كان سحب كارنيه الكلية من ابن عمتي، ونمرتك أنت أيضا لكي نرتب مع بعض موضوع المقال الخاص بك . .

سارع صبحي الديدموني بإخراج هاتفه المحمول بيد مرتعشة من فرط السعادة وأعطى هاني رمزي رقمه ورقم مجدي هاشم وابتسامة عريضة قد نحتت على وجهه . .

العشرون جنيها لا زال لها قيمة عند البعض!

* * *

-أنا خائف من الزفت رشاد ده يا أبا داليا.

قالها سعيد الفقي عندما انفرد بفتحي السلاموني بأحد أركان مقهي العدل الضيق في ظهيرة اليوم الذي تلى الهجوم، فسحب فتحي السلاموني نفسا عميقا من الشيشة ليعبأ صدره بدخان المعسل الذي سيحاسب علي ثمنه سعيد الفقي مع بقية الطلبات، ثم قال لسعيد الفقي في ثقة والدخان يخرج من أنفه وفمه في بطء مختلطا بالكلمات . .

-ولا تخف ولا حاجة، العالم الوسخة في الجماعات الإرهابية أجبن مما تتخيل، صدقني أنا، أنا أعرفهم جيدا، حتى لما هجموا، أخذوهم غدر . .

openkan.com

واسترسل فتحي السلاموني وشرر يتطاير من عينيه يحكي غاضبا من وجهة نظره تصوره الشخصي لما حدث ليلة أمس وسعيد الفقي لا يقاطعه . .

-لكن كيف شمت الصحافة خبرا عن القبض عليه؟! . . خبر القبض عليه نزل في الشعب اليوم . .

شعر فتحي السلاموني للحظة بالارتباك، فاحتبس الدخان بصدره وسعل عدة مرات حتى دمعت عيناه، فناوله سعيد الفقي كوبا من الماء فشربه دفعة واحدة. .

-بالراحة يا أبا داليا، أنت عارف حاجة عن الخبر المنشور في الشعب اليوم ؟!

أجابه فتحي السلاموني مرتبكا وقد أنتابه خوف من أن ينكشف أمره بأنه مصدر هاني رمزي لمعرفة هذا الخبر . .

-أصل الحكاية أنا شفت ليلتها صحفي عدمان شغّال في الشعب اليوم في المركز عندنا، دخل وقابل الضباط وقعد معهم وقت كثير.

-ألقى معك رقمه ؟!

قالها سعيد الفقي في لهفة أثارت ريبة فتحي السلاموني فانتبه سعيد الفقي ليتابع في استدراك حاول أن يجعله تلقائيا . .

-يا عم فتحي، أكمل له الخبر وأحكي له تفاصيل عن حياة زفت رشاد، وأطلع منه بقرشين حلوين، وبالنصف ورحمة الحاجة أم سعيد.

حينها عاد فتحي السلاموني لاطمئنانه وزالت ريبته فقال لسعيد الفقي في ود . .

-عيب يا سعيد يا أخي ما تقوله، الصحفي هذا يتصل بي من وقت للثاني يسأل

obeikan.com

على أخبار، من عيني.

وأعطى فتحي السلاموني رقم هاني رمزي لسعيد الفقي، ثم انتقل الحديث بهما لأمور شخصية عرجت في ثانية إلى الحديث عن الجنس ليتحدث فتحي السلاموني كذبا عن فحولته المزعومة الخميس الفائت ويفخر بما فعله وما فعل ليلتها غير النوم ولا شيئا غيره.

أحيانا يفتح حجر المعسل وأكواب الحلبة الكثير من الأبواب المغلقة، القاعدة الذهبية في تلك المواقف التي يتبعها سعيد الفقي كغيره، فلتطعم الفم كي تستحي العين، وقد نال مراده وتحصل على رقم هاني رمزي ولا يهمه على الإطلاق في هذه اللحظات ما فعله فتحي السلاموني مع زوجته!

* * *

جلس هاني رمزي على أحد المقاعد الرخامية أمام مجمع التحرير ينتظر الرجل الذي اتصل به وأخبره أنه أحد أقارب رشاد البسيوني الذي نشرت الجريدة خبر القبض عليه وأنه يريد التحدث إليه بهذا الشأن، وطلب منه أن يلتقيا بهذا المكان لأنه يخشى الاقتراب من مركز الشرطة كي لا يصبح بين ليلة وضحاها أحد المتهمين مع رشاد البسيوني.

كانت الساعة تقترب من الرابعة عصرا وقد هدأت حدة الشمس في هذا الوقت حيث بدأت الشمس تلملم آشعتها الحادة من السماء متأهبة للذهاب إلى بلد آخر لتتسلى بشواء أهله أحياءا، وهاني رمزي وقد حرر قدميه من قيود حذائه وأراحها على العشب يفكر فيما حدث معه في اليومين الأخيرين منذ اتصل به

فتحي السلاموني كي يخبره بنبأ القبض على رشاد البسيوني حتى هذه اللحظة..

كان هاني يراهن كثيرا على هذه القضية بأنها سوف تكون سبقا صحفيا ضخما يرسخ أقدامه بقوة في بلاط صاحبة الجلالة، سبق صحفي ينقله مهنيا وماديا من العمل تحت التدريب بما يتقاضاه من الجريدة والذي لا يتجاوز الخمسمائة جنيها في أحسن الأحوال إلى التعيين في الجريدة والتثبيت والحصول على كارنيه نقابة الصحفيين البراق وما سيتقاضاه من الجريدة حينها والذي لن يقل في أي حال من الأحوال عن الألف ومائتين جنيها.

يخشى هاني رمزي كثيرا أن يخسر الرهان!

يعرف أن ساعتها في حالة نجاحه مهنيا قد يفكر جديا في الإقدام على فسخ خطبته من منى زميلته في الجريدة، والتي ما خطبها من أهلها إلا مضطرا لكونهم معدمين مثله، فلن يرضى غيرهم به، لا شيء في المقابل يميز منى خطيبته على الإطلاق!

تفتقر إلى الجمال وقد تركت الأنيميا بصماتها بقوة على وجنتيها.

تفتقر إلى الجسد الخلّاب الآسر للأعين بقوامها الذي امتص الفقر منه شحمه ولحمه ودماءه وتركها بضعة عظام يكسوها لحم على استحياء ولم تفلح معه شدادات الصدر المنتفخة التي تستخدمها.

تفتقد الكاريزما، مقبورة الروح تحت أنقاض الفقر المضجع.

حتى طموحها يتوقف عند نجاحها في أن تصبح صحفية فقط لكي تتقاضى المزيد من المال، ولذا فهي لا تصلح بأي حال من الأحوال كي تكون زوج رئيس

openkan.com

تحرير أعرق المؤسسات الصحفية في المستقبل!

يوقن أنها بالنسبة إليه مجرد وسيلة لسد فراغه العاطفي في هذه المرحلة الراهنة كي لا يعيقه عن رحلة كفاحه في عمله، ولكنها في ذات الوقت لا تصلح لسد فراغه الجنسي القنوع قبل الزواج ولا الشره بعد الزواج، يقنع نفسه بأنه لا يظلمها ولكنها هي من تظلم نفسها حين تمنى نفسها بشخص طموح ناجح مثله!

اسمها منى، ولها حظ كبير من اسمها إذ تمنى نفسها به!

لا تعرف الحمقاء أنها إن نجحت في الظفر به والزواج منه أنه سيخونها مضطرا ليل نهار كلما سنحت الفرصة كي لا يضطر إلى طلاقها!

في ظنه يكافئها بأن يتركها تحيا قليلا في وسط هذه الأوهام وأنت تفخر في مستقبل قريب بأنها قد خطبت يوما ما لهذا الصحفي المشهور!

ليس حقيرا أو نذلا من وجهة نظره، ولكنه فارس نبيل يضحي ببعض من وقته وتاريخه القصير من أجل سعادة وقتية لفتاة مسكينة!

متي يمسك بتلابيب هذا السبق الصحفي اللعين ليجندله أسفل قدميه ذليلا ويذبحه قربانا عند آلهة صاحبة الجلالة في نقابة الصحفيين!

كان قد حاول الاتصال مرات عديدة بالدكتور مجدي هاشم ولكن هاتف الأخير كان طوال الوقت مغلقا، مما زاد الشكوك لديه تجاه هذا الرجل متعنكب العلاقات الجنسية!

قطع تعارك الأفكار برأس هاني رمزي رنين هاتفه المحمول برقم الرجل الذي حدثه منذ قليل، وقبل أن يجيبه كانت يد ثقيلة مكتنزة تربط على كتفه من

openkan.com

الخلف. .

-أستاذ هاني رمزي، أتأخرت عليك ؟!

كان هذا سعيد الفقي يقولها في ود لاهثا بسبب بدانته المفرطة . .

-لا، ولا تأخرت ولا حاجة . .

ثم نهض هاني رمزي منتعلا حذاءه مرة ثانية ليبدءا حديثهما أثناء المشي كما استأذنه سعيد الفقي، أخبره سعيد الفقي أنه أحد أصدقاء طفولة رشاد البسيوني وقد تربيا معا في الأنفوشي بالاسكندرية، وأنه يعرف أهل رشاد البسيوني جميعهم خير المعرفة، وكان يريد طمأنة أهله عليه، فهم قد طالعوا في الجرائد أنه متورط في قضية تتعلق بالأمن القومي ويخشون التنكيل بهم أو تعذيبهم في حال زيارته، أو استخدامهم كوسيلة للضغط عليه للاعتراف بجرائم شنيعة لم يرتكبها!

-ما أعرفه أن رشاد البسيوني غير موجود في قسم أول شبرا الخيمة حاليا يا عم صابر . .

قالها هاني رمزي لسعيد الفقي – أو صابر مثلما أخبره – في بطء ضاغطا على كلماته محاولا اختبار وقع كلماته على محدثه . .

يعشق هاني رمزي تقمص شخصية وكيل النيابة!

-ما هو أكيد حاليا في أمن الدولة أو مع المخابرات ما دامت القضية فيها إخوان وتخابر وتجسس وأمن قومي، وهذا راجل بريء ليس له في هذه الأمور.

obeikan.com

قالها سعيد الفقي في عفوية متظاهرا بالبراءة، فرد عليه هاني رمزي في حسم .

-لأ . . رشاد البسيوني في ناس هربته.

اتسعت عينا سعيد الفقي من خلف عويناته السميكة متظاهرا بوقع المفاجأة عليه، وارتفع حاجباه في دهشة حقيقية وقد تدلى فكه في بلاهة، سعيد الفقي إن ترك العمل بمجلس المدينة واتجه للعمل بالتمثيل لكان ممثلا بارعا قديرا لا يشق له غبار!

حكي له هاني رمزي القليل من تفاصيل الاعتداء الذي حدث على القوة الأمنية أثناء نقل رشاد البسيوني إلى الأمن الوطني والتي كذبتها وزارة الداخلية فيما بعد وأنكرت الأمر برمته.

-ولا واحد يعرف مكان رشاد البسيوني في الوقت الحالي!

اختتم هاني رمزي بها حديثه في غضب مبعثه فشله في استكمال هذا السبق الصحفي المستعصي، فأدرك حينها سعيد الفقي أن هذا الصحفي الشاب غير متورط على الإطلاق في عملية تهريب رشاد البسيوني ليضيع منه طرف الخيط الذي كان يلهث وراءه!

نسج سعيد الفقي بعد ذلك بعض الحكايات من وحي خياله عن رشاد البسيوني وأسرته ونشأته كي يخرس بها هاني رمزي وفي نفس الوقت لا يخسره ثم افترقا على وعد بإبلاغ بعضهما بأي مستجدات تخص رشاد البسيوني.

افترقا وكل منهما يحمل في يديه خفي حنين!

* * *

obeikan.com

"الرقم الذي حاولت الاتصال به متاح الآن، يمكن الاتصال به"

جاءت الرسالة مع حلول الليل إلى هاتف هاني رمزي بعدما أنهى تسليم عمل اليوم إلى الجريدة والذي ألّف معظمه، ليفاجأ بهاتف مجدي هاشم وقد أصبح متاحا للإتصال، فأسرع بالاتصال به ولم يتلق إلا صوت الرنين حتى انتهى، فأعاد الكرة مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى أتاه صوت مجدي هاشم من الطرف الآخر يتساءل في صرامة عن شخص المتصل. .

-أنا هاني رمزي الصحفي يا معالي الدكتور، لحقت تنسى صوتي.

أجابه هاني رمزي في سخرية واضحة، فلم يتلق ردا من مجدي هاشم!

-أنا كنت الصبح عندك في القسم لكن قالوا لي أنك أجازة على غير العادة يعني، وكنت محتاج أبلغك إن رشاد البسيوني هرب، لكن لما لقيت موبايلك مغلق قلت لنفسي هو ينفع أبلغك بالخبر وأنت أصلا عارف الخبر من غير ما أقولك . . حضرتك يا باشا مصدر الخبر . .

سكت هاني رمزي ليعطي لمجدي هاشم الفرصة للرد بعد كلماته ولكماته الساخرة المتتالية ولكنه لم يسمع غير صوت شهيق وزفير مجدي هاشم المتسارع من الجهة الأخرى لأقل من نصف دقيقة ثم أغلق الأخير الخط قاطعا الاتصال فجأة!

ظل هاني رمزي يحملق في شاشة هاتفه لدقيقة وابتسامة ظفر قد وجدت طريقها إلى شفتيه بعد أن وصل أخيرا لطرف خيط مؤكد يضعه على الطريق الصحيح لإكمال سبقه الصحفي الأول.

عندما عاد هاني رمزي إلى شقته فرحا مسرورا كانت هناك مفاجأة في انتظاره تتمثل في ضيف لم يكن يتوقع تواجده في الشقة على الإطلاق!

* * *

-إيه يا ابني، كنت مختفي طول النهار، الراجل في انتظارك من الصبح.

كان هذا حسام عبد المعطي متحدثا مرتديا ملابسه الداخلية فقط وهو يلعب الطاولة مع ضيفه.

وقف هاني رمزي يحملق فيهما مذهولا من المفاجأة غير المتوقعة.

-تعال يا هاني شوف صاحبك وأنا أقطّعه . .

قالها الضيف في ود وقد بدت عليه السعادة من وقع المفاجأة على هاني رمزي الذي تسمر في مكانه كتمثال، وإن كان تمثالا يسيل لعابه من فم مفتوح من وقع الصدمة!

صوت ارتطام القشاط بعنف على أرضية الطاولة الخشبية تدمر أعصاب هاني!

-بعد إذنك يا حسحس، نكمل وقت ثاني، أنا نازل مع أبو رمزي في مشوار.

ونهض الضيف من مكانه مغلقا طرفي الصندوق الخشبي في عنف أصدر صوت ارتطام مدوى ارتجفت له أوصال هاني رمزي، ثم تأبط الضيف ساعده في ود وخرجا معا إلى الشارع وهاني رمزي يسير إلى جواره مستسلما مسلوب الإرادة!

* * *

-البقاء لله يا باشا.

قالها هاني رمزي دون أن يرفع بصره عن الأرض مراقبا خطواته وهو يسير مع الضيف غير المتوقع جنبا إلى جنب.

-مع أني عندي إحساس أنك مبسوط، أنت جريت ونشرت الخبر في الطبعة الثانية!

قالها محمود الدمرداش في لهجة تقريرية وقد توقف عن السير محدقا في عيني هاني رمزي في صرامة ارتجفت لها أوصال الأخير. .

-هو في واحد ممكن يشمت في الموت يا محمود باشا ؟!

-آه، في واحد ممكن يشمت في الموت طبعا، لو المرحوم كان مؤذي وآذاه جامد، ففكر صاحبنا أنه ينتقم منه، أو كان من الأصل في ناس مسلطينه عليه . .

تبدلت ملامح هاني رمزي في لحظة من الخوف إلى التحدي على أثر كلمات محمود الدمرداش، وقد تذكر ما فعله به هشام الجندي وقرر ألا يكون مرة ثانية بمثل ضعفه السابق، فرد على محمود الدمرداش محتدا . .

-معاليك يا باشا لو في اتهام معين موجه لي فمن فضلك يكون اتهام رسمي.

لهجة ونبرة صوت هاني رمزي في رده على محمود الدمرداش دفعت الأخير للإمساك بتلابيبه في غضب انتبه له القلة القليلة من المارة بالشارع في هذا الوقت المتأخر . .

-أنت فاكر نفسك (دكر) يا ابن الـ(سبة لأم هاني رمزي تصفها بالمرأة

المتسخة)، أنا ممكن حالا أجيبك عريان أنت والحيوانات الساكنين معك، نلبسكم قضية تنظيم إرهابي ومعاذ زميلك شكله يمشي مع الإعلام، والنجس الثاني حسام أخواننا في الآداب يقوموا بالواجب معه، لكن أنا أسلوبي بعيد عن القذارة هذه، أنا أتكلم عن ضابط قتلوه وفي رقبته زوجة وأطفال، وضابط ثاني كان فرحه بعد يومين، غير عساكر مساكين معاشهم بالعافيه يفطر عيالهم.

غضب محمود الدمرداش وصوته الحاد أثار الرعب في نفس هاني رمزي مما قد يدفعه لفعله معه وهو هائج ثائر بهذا الشكل، حتى نسي الأخير كل السيناريوهات التي أعدها كي تثور ثائرته في تلك المواقف المماثلة.

تأكد هاني رمزي حينها أنه لم يصبح بعد صحفيا كامل النضج!

-أنت يا باشا تتهمني بأني السبب في قتلهم، منتظر مني أوافقك؟!

-لأ منتظر منك تثبتلي أنك إنسان نظيف وتساعدني نرجع حقهم.

قالها محمود الدمرداش بصوت هاديء هذه المرة وترك ملابس هاني رمزي التي يقبض عليها بقبضته، فلانت له ملامح هاني رمزي قليلا وعدّل من وضع ملابسه سائلا . .

-حضرتك طالب تعرف ماذا بالضبط يا محمود بيه ؟!

-كل حاجة.

فأشار له محمود الدمرداش أن يستمرا في سيرهما حتى يتحاشوا فضول المارة بجوارهم.

-تفضل معاليك أسأل وأنا جاهز بالإجابة.

-عرفت بالقبض على ابن الـ(سبة لأم رشاد البسيوني تصفها بالزانية)؟

-المفروض أقول لحضرتك من مصادري السرية، الكتاب يقول هكذا . .

نظر له محمود الدمرداش بطرف عينه فاستطرد هاني رمزي في سرعة قبل أن يعود محمود الدمرداش لنوبة غضبه . .

-المصدر ببساطة عسكري من المركز من عساكر كثيرين تبلغ الأخبار المشابهة للصحفيين أمثالي في مقابل حسنة يأخذوها، بعدها أنا دخلت المركز أدور على تفاصيل للخبر، وهذا كل ما كنت أطمع فيه، وفوجئت أن حضرتك وهشام بيه الجندي تسمحان لي أقابل المتهم على غير العادة في القضايا المشابهة، قضايا أمن الدولة والمسجونين السياسيين أقصد.

توقف محمود الدمرداش عن سيره مرة ثانية ونظر في عيني هاني رمزي متسائلا . .

-مصدقك، لكن لما دخلنا عليكم فجأة كنت بتستلم منه حاجة؟!

-و الله يا باشا ورحمة أبي، أقسم بالله، ورب الكعبة ما استلمت منه أي شيء، ورب الكعبة ما حصل، ولا حكى لي أي حاجة والله العظيم، دخلت فاضي وخرجت فاضي، أنا افتكرته ساعتها معتوه، كل ما طلبه مني هو أني أسلم عليه باليد، أقسم بالله ما حصل غير ذلك، تصدقني أو تكذبني هذا يرجع لك يا محمود بيه، لكن عمرها ما توصل معي لدرجة القتل أو المشاركة في القتل، أنا من الفلاحين وعارف الأصول!

obeikan.com

كلمات هاني رمـزي خرجت صادقة، ولـم يملك محمود الـدمـرداش إلا أن يصدقها..

-هاني سأحاول تصديقك، لكن لازم تعرف أن كل من ماتوا دمهم في رقبتي أنا، لما توصل لمعلومة أيا كانت صغيرة أو كبيرة أنت عارف رقمي، نحن نتكلم في دم.

وتركه محمود الدمرداش دون كلمة إضافية وانصرف، هذا النوع المحترم من ضباط الشرطة أصبح عملة نادرة الوجود، وهو ما جعل هاني رمزي يعتقد لوهلة أن أسلوب محمود الدمرداش هذا لا يتناسب مع وظيفته كضابط شرطة، هناك وظائف لا تحتاج لمثل هذا التأدب!

أما محمود الدمرداش فقد قطع عهدا في الماضي على نفسه بألا يفعل شيئا يخجل منه أمام ابنائه في المستقبل، أقسم بألا يضطر لأن يخالف القانون أو أن يهين إنسانا أيا كان مسيئا استغلال سلطته كغيره، لابد من طريقة قانونية لأخذ الحقوق، يحاول أن يعتبر المتهم بريئا حتى تثبت إدانته وإن لم يجد تلك الطريقة التي تثبت إدانته عن طريق القانون فذلك فشل منه وحسب.

أي ضابط مكانه كان ليعتقل هاني رمزي ويعذبه حتى الموت للإعتراف بأي شيء ولا يلومهم كثيرا في مثل تلك الظروف، ولكنه يجاهد نفسه كي لا يضطر لذلك، كما أن لقاءه مع هاني رمزي كان خارج الإطار القانوني تماما ويعد مخالفة لأوامر رؤسائه الذين أمروا باعتبار رشاد البسيوني شخصا لم يكن.

* * *

ظل هاني رمزي يهيم على وجهه في الشوارع يفكر فيما عليه فعله ولا يستقر على رأي ثابت!

أيخبر محمودا الدمرداش عن صابر (سعيد الفقي) وأنه قد نجح في التوصل لأحد أقارب رشاد البسيوني؟!

أيتسبب في ضرر فعلي لأقارب رشاد البسيوني بأن يكون سببا في تعرضهم للبطش الأمني ووقوعهم تحت سطوة التعذيب؟!

أيخبره عن فتحي السلاموني مصدره الأساسي للمعلومات بقسم أول شبرا الخيمة، فيصبح بهذا ورقة محترقة لا فائدة منها ؟!

أيخبره عن الرؤيا التي جاءه فيها رشاد البسيوني ويخبره بكل ما طلبه منه ؟!

أيخبره عن مجدي هاشم وكل ما يدور بداخله من شكوك نحوه فيضيع طرف الخيط من يده ؟!

لا شك أن محمود الدمرداش سوف يظن في داخله أن هاني رمزي إما مخبول ومختل عقليا وإما يظن أنه يسخر منه!

في كلتا الحالتين لن يستفيد هاني رمزي شيئا ولن يقدم إفادة نافعة لأسر من سقطوا قتلى في هذا الاعتداء الإجرامي الغادر.

الحل الوحيد والأقرب للصواب من وجهة نظر هاني رمزي هو أن يكمل جمع معلوماته بعد أن وصلت لطريق مسدود، وحين تجيء اللحظة المناسبة سوف يخبر محمود الدمرداش بما قد توصل إليه، وحينها يكون قد ظفر بسبقه الصحفي وفي نفس الوقت سلم الجناة إلى العدالة.

obeikan.com

قطع حبال أفكاره صوت رنين هاتفه المحمول فظن في البداية أنه محمود الدمرداش يريد أن يسأله عن شيء آخر أو منى خطيبته تريد أن تحدثه في أمور تافهة وتستجدي منه أن يكثر لها من كلمة (أحبك) حتى تصيبه بصداع نصفي، ولكنه فوجيء برقم آخر زاد من توتره كهاني رمزي البشري وتهللت له أسارير هاني رمزي الصحفي.

أين حسام عبد المعطي اللعين في تلك اللحظة ليأخذ منه سيجارة يفرغ فيها توتره!

* * *

لم يكف سعيد الفقي لحظة واحدة وكشافه الضوئي الرخيص عن العبث بشقة رشاد البسيوني علّه يجد أي شيء لم يتوصل له رجال الشرطة.

كان الإحباط رفيقه حينها إذ لم يجد شيئا كالعادة، وعندما هم بالخروج بخفي حنين وقد فقد الأمل فوجيء بأنوار الشقة تضاء مرة واحدة من اللوحة الرئيسية بالصالة حينها قفز وأرطال شحمه ولحمه من مكانه وقد شعر بخوف وذعر لأول مرة في حياته الطويلة، فتسمر في مكانه وهو يتطلع لهذا الرجل الذي يشهر مسدسه مباشرة في وجهه وقد سحب صمام الأمان ليتباطأ الزمن في قسوة في اللحظات التالية.

* * *

-معالي الدكتور مجدي باشا . . أأمرني.

أجاب هاني رمزي على اتصال مجدي هاشم في سخرية محاولا التخفيف من

حدة توتره التي تسببت في رجفة تملكت يديه وهو يمسك بهاتفه المحمول.

-لو محتاج تعرف كل التفاصيل وتعمل سبق صحفي قنبلة ينقلك نقلة ثانية وتصبح أشهر صحفي في الوطن العـ . . في العالم كله، قابلني الصبح الساعة السادسة عند محطة بنزين التعاون بعد دار المدرعات وقبل الجهاز المركزي للمحاسبات على طريق صلاح سالم، هنتظرك عند نهاية المحطة قبل سور الجامع.

أنهي مجدي هاشم حديثه وقطع الاتصال دون مزيد من التفاصيل أو سلام وداع ليضاعف من توتر هاني رمزي، وهو ما دفع الأخير مجبرا لأن يقرر أنها اللحظة الحاسمة التي يتحتم عليه فيها أن يبتاع علبة سجائره الخاصة الأولى ليطفيء مع رمادها قليلا من توتره!

* * *

-أنا طالب مبرر واحد يمنعني أني أضغط الزناد وأفجّر دماغك يا أولاد الكلب يا أنجاس!

قالها محمود الدمرداش في غضب وهو يصوب مسدسه مباشرة إلى رأس سعيد الفقي الذي سقط من يده الكشاف على أثر المفاجأة وقد رفع زراعيه عاليا فوق رأسه في استسلام، وقال في لهجة أودعها الكثير من التردد والخوف المصطنع . .

-على حسب فهمي، معاليك محمود بيه الدمرداش . . صح يا باشا؟!

لم يحرك محمود الدمرداش ساكنا وكأنه لم يسمع كلمات سعيد الفقي.

openkan.com

-أنا سعيد الفقي يا باشا، أنا جار رشاد البسيوني ابن الكلب النجس، أنا جاره الذي أبلغ عنه فتحي السلاموني، أبو داليا يا باشا، أنا اتصلت بكم أول ما دخل رشاد الزفت شقته وكان رجال من عندكم ساعتها في شقتي، اتصل لك بأبي داليا تسأله ؟!

-اثبت مكانك.

صاح بها محمود الدمرداش في غضب جم حين حاول سعيد الفقي أن ينزل يده إلى جيبه بحثا عن الهاتف، ولكنه سرعان ما تراجع رافعا زراعيه إلى أعلى في استسلام وذعر مصطنع يغلف قسمات وجهه المكتنز.

-تحرك حركة واحدة وأوعدك أنك لن تلحق تحس أنك مت.

قالها محمود الدمرداش محذرا ومتوعدا في صرامة وأخرج هاتفه المحمول ليتصل بفتحي السلاموني ويده الأخرى تصوب المسدس في حزم وثبات مباشرة إلى رأس سعيد الفقي والتي لضخامة حجمها لن تخطئها رصاصة حتى وإن كان مطلقها شخص أعمى وليس محمود الدمرداش.

-صف لي سعيد زفت الفقي.

قالها في غضب محمود الدمرداش عبر هاتفه المحمول فأتاه صوت فتحي السلاموني من الطرف الآخر مرتعشا مندهشا يصف له سعيد الفقي بالتفصيل الممل وهو لا يفهم السبب لذلك، ظل يصف له الوحمة الزهرية اللون في جبهته وزراعه ويصف له شاربه الأشبه بطابور من النمل يسير فوق فمه ويصف له أرطال لحمه وشحمه ونظارته الطبية سميكة العدسات، من المستحيل أن يكون

على وجه هذه الأرض نسختان من سعيد الفقي!

ظل فتحي السلاموني يسترسل في الوصف ومحمود الدمرداش صامت لا يعطي أي انطباع ولا تتسلل منه أي علامة إلى ملامحه عن طريق الخطأ تطمئن سعيد الفقي إلى أن أنهى الاتصال!

-قل لي يا سعيد يا فقي، ما الذي جاء بك هنا ؟!

عادت الحياة مرة ثانية إلى سعيد الفقي وسالت دماؤه المتجمدة لتجري مرة ثانية في عروقه الضيقة بعدما ناداه محمود الدمرداش باسمه . .

-معاليك أنا عرفت أن ابن الكلب رشاد زفت هرب وأنا من ساعتها أفتش في الشقة يمكن ألقى حاجة أوصلها لفتحي السلاموني تقدر تساعدكم، لأن الحيوان هذا يعرف أنني من أبلغكم عنه، وأكيد سينتقم مني في أقرب فرصة.

أنزل محمود الدمرداش سلاحه وأشار له أن يخرج، كان حينها يشعر بإحباط بالغ وقد كان يتمنى أن يكون سعيد الفقي مشتبها به بالفعل ليفرغ - دون محاكمة -رصاصات مسدسه في رأس وقلب وكرش هذا السمين الذي ظنه أول الأمر من طرف رشاد البسيوني.

أما سعيد الفقي فقد قدر الله له أن يحيا يوما آخر، ولكم كان سعيدا بهذا أيما سعادة!

* * *

(٧) رشاد البسيوني

هذا الجزء يحكيه هاني رمزي

في تمام الساعة السادسة صباحا كنت أنتظر مجدي هاشم عند محطة بنزين التعاون، ولم تمض دقيقة حتى توقف بسيارته أمامي قبل أن أنتهي من سيجارتي التي اقتطعت ثمنها من مالي العزيز وهو ما جعلني أفكر في إلقائها داخل المحطة ليشعر الجميع بالخسارة الفادحة.

-أركب.

رسمت شفتاه الأمر في برود من وراء زجاج السيارة وترجمتها يده التي أشارت إليّ في نفاذ صبر داعية إياي للركوب فركبت إلى جواره.

-عندما أقول لك، ستتفضل مشكورا وتركب في الخلف.

ألقى جملته الغريبة في برود دون أن يلتفت إليّ، فألتفت إلى الكراسي الخلفية، فاستدرك قائلا في لا مبالاة . .

-في الخلف، قصدي في حقيبة السيارة.

رفعت حاجبا وهبطت بالآخر استنكارا فقال في تعالٍ دون أن يلتفت إلي . .

-أولا أنا من يضع القواعد هنا، ثانيا أنا لا أريدك طبعا أن تعرف الطريق يا هاني

obeikan.com

بيه يا رمزي يا سيادة المحقق هولمز.

هذا الرجل يعاملني باحتقار زائد عن الحد، ولكن لا مانع من العمل بمبدأ إن كان لك عند الكلب حاجة فقل له يا سيدي ويا تاج رأسي . .

-ولا أنت خائف مني ؟!

قالها لينتزعني من أفكاري واضعا راحته اليمنى على فخذي الأيسر فسرت في جسدي رعشة خفيفة من هذا التلميح الشاذ، فأنفجر مجدي هاشم في نوبات من الضحك المتواصل حتى تملكه السعال قائلا . .

-لا تقلق هكذا . . ليس لي في الرجال . .

ثم استعادت ملامحه جمودها وصرامتها مرة ثانية وألتفت محدقا في عيني مباشرة متابعا . .

-حتى الآن على الأقل يا هاني.

صوته ونظراته المريبة تبثان رعبا يحطم أعصابي!

بعد ما يقرب من العشرة دقائق توقف بسيارته على جانب الطريق وترجل منها فتبعته.

-أعطني هاتفك المحمول.

أخرجت هاتفي المحمول وأغلقته أولا أمامه إبداءً لحسن النية ولكن الوغد الحقير قام بتفتيشي بإتقان حتى ظننت أن طلبه القادم أن أخلع ملابسي ليفتشني تفتيشا ذاتيا علّني أخفي جهازا للتنصت أو التتبع بفتحة الشرج! . .

obeikan.com

ولكنني عدت واستبعدت هذا الاحتمال كي لا يلفت إليه أنظار المارة القليلين في هذا الوقت المبكر من الصباح.

-هل معك أي بطاقة تعريف تدل على كونك صحفي؟!

-معي كارنيه من الجريدة.

-جيد جدا، إن استوقفنا أي كمين ووجدوك بحقيبة السيارة أخبرهم عن أنك تعد تقريرا عن جودة وكفاءة الإجراءات الأمنية، إن أخبرتهم أي شيء خلاف ذلك فسأنكر وسيصدقونني وبخاصة بأنك حر الحركة دون أي قيود.

الوغد اللعين قد أعد العدة لكل شيء، لكم أكره بشدة هذه الأصناف من البشر المنظمة للغاية!

دخلت حقيبة السيارة الخلفية فأغلق بابها ورائي دون أن يوصده وبدأ رحلته التي لا أعرف وجهتها وسط ظلامي الحالك الذي يحيط بي، حاولت أن أتذاكى في البداية وأحسب انحرافات السيارة ولكنني بعد فترة قصيرة للغاية فشلت وما عدت أركز إلا في المطبات والطريق اللعين غير الممهد على الإطلاق الذي يتسلى بتهشيم وتفتيت عظامي دون شفقة أو رحمة، عليّ إن عدت حيا من هذا المشوار أن أعد تقريرا صحفيا ضخما عن سوء حالة الطرق في مصر يطير عنق وزير النقل والمواصلات!

* * *

توقفت السيارة أخيرا بعد أن مضت أكثر من ساعة لم نتوقف خلالها على الإطلاق، فتح مجدي هاشم حقيبة السيارة لأجد نفسي داخل حظيرة ماشية

هجرها ساكنوها من البهائم منذ وقت طويل.

هبطت من السيارة وكل عظمة وعضلة في جسدي تئن وتشتكي إلى الله لأجد مجموعة من الأعـراب بجلابيبهم يحملون شواربهم الكثة وبنادقهم الآلية محيطين بالسيارة!

هل مجدي هاشم هو زعيم أنصار بيت المقدس لغير الملتحين؟!

هل علاقته المشبوهة بأصناف النساء لا تتعدى جهاد النكاح ؟!

سار مجدي هاشم تجاه باب صغير فعبرناه سويا لأجد نفسي أقف في ردهة بيت بسيط ريفي الأثاث مثل منازل الفقراء من فلاحي قريتي بجيرم، تركنا الأعراب عند الباب ولم يدخلوا معنا.

-محتاج أفهم الأول يا معالي الدكتور . .

قلتها في رباطة جأش ظاهرية . .

-الآن معالي الدكتور يا هاني بيه؟! . . وتتحدث باحترام ! . . بالأمس صوتك كان ينضح بالسخرية!

-معاليك يا دكتور قلت بـ(الأمس)، نحن الآن في (اليوم) ولكل مقام مقال كما تعرف . .

-سنفهم كل شيء سويا في نفس التوقيت.

قال مجدي هاشم جملته الغريبة المقتضبة مبتسما في غموض وابتسامته اللزجة المميزة تزيد قبح وجهه، وأشار إلى أن أتبعه إلى أحد الأبواب الذي يبدو

obeikan.com

أنه يفضي إلى حجرة من الحجرات التي تتراص على جانبي الردهة، فتبعته مسلوب الإرادة ككلب شديد الوفاء يثق في راعيه حتى حين يقوده لهلاكه!

* * *

لم أتفاجأ على الإطلاق حين رأيت رشاد البسيوني يجلس على كرسي وأمامه منضدة عليها مجموعة من الأوراق والأقلام وحولها كرسيان آخران، بل كانت المفاجأة في رؤيته مقيدا بعناية إلى الكرسي!، ذلك وضع مُختطَف لا هارب!

-أكلت السكر؟!

قالها مجدي هاشم لرشاد البسيوني فاعتقدته يسخر منه لولا صوته وملامحه التي تخلو من أي سخرية، فهز رشاد البسيوني رأسه أن نعم!

-أنت ممكن تفك هذه القيود، لا نية لدي لهرب وبخاصة أن هناك جيش صغير بالخارج لن يعطيني فرصة للتفكير في الأمر!

قالها رشاد البسيوني في هدوء فابتسم مجدي هاشم وفتح الباب مناديا على أحد الرجال فدخل الغرفة بغير سلاحه، فطلب منه مجدي هاشم أن يحل وثاق رشاد البسيوني ففعل الرجل في صمت، ثم أشار له مجدي هاشم أن يخرج ففعل دون أن ينطق حرفا واحدا !

-أنا منتظر تفي بوعدك القديم والجديد.

قالها مجدي هاشم، فتحدث رشاد البسيوني في هدوء . .

-أنا سبق ووعدتك مرتين بالفعل أن أخبرك بكل ما تريد معرفته إن شاء الله لنا

obeikan.com

اللقاء ثانية، وهذا ما سأفعله.

تدخلت قاطعا حديثهما دون استئذان وقد أوشكت أن أصاب بجنون!

-ممكن حضراتكم تفهموني أولا ما الحكاية ؟!

تلاقت أعين مجدي هاشم ورشاد البسيوني لثانية ثم تحدث رشاد البسيوني بعدها . .

-وماذا تريد أن تعرف يا هاني ؟!

-أولا كيف وصلت إلى هنا قبل أي شيء ؟!

-بالرشوة.

أجابني مجدي هاشم في بساطة حاكا سبابته بابهامه في إشارة إلى النقود، فبدا اندهاش على وجهي، فأكمل حديثه. .

-أي شيء في مصر يا هاني كما تعرف جيدا يمكن فعله عن طريق الرشوة، بالرشوة بإمكانك تهريب أحجار الهرم الأكبر نهارا جهارا أمام أعين الجميع في يوم واحد إلى خارج البلاد دون أن يهتم أحدٌ بالأمر، بل هي قادرة على شراء من يهلل لك ويشكرك في الصحافة والإعلام على جميل صنعك، فما بالك بتهريب رجل وحيد مثله، الرشوة يا هاني بإمكانها إمدادك بموعد نقل رشاد البسيوني وخط سيره والقوة المرافقة له، بل عدد الطلقات في عهدة كل فرد من أف . .

قاطعته وقد أزعجتني صراحته وهدوؤه المستفز الذي يتحدث به . .

-أفهم من هذا أنك من تسبب في مقتل أبرياء خلفهم عائلات و . .

obeikan.com

فقاطعني مجدي هاشم في استياء واستنكار وازدراء بالغ رسمتهم بعناية قسمات وجهه قائلا . .

-الشباب الصغير والقيم البالية والشعارات الرنانة . . أرجوك لا تحدثني كالسذج عن الأبرياء والضحايا، للعلم ضريبة لابد أن تعرف هذا، أنت مؤمن وموحد بالله أم لا يا شيخ هاني ؟!

. . . . . -

-الله يقول في كتابه "ولكل أمة أجل، فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون"، هذا عمرهم المكتوب لهم من قبل ولادتهم، بل إنني قد أسديت لهم خدمة لا تقدر بثمن وإن خرجوا من قبورهم لتسارعوا على تقديم الشكر والعرفان لي.

انعقد حاجباي في دهشة واستنكار لما يقوله فتابع بنفس منطقه الساذج. .

-الآن كل عائلة من عائلات القتلى أصبح لديها شهيد يشفع في سبعين من أهله يوم القيامة، هذا في الآخرة، أما في الدنيا فستتكفل الداخلية بأهلهم وتكرمهم التكريم اللائق.

-القتل من أكبر الكبائر، الدم كله حرام.

قالها رشاد البسيوني في ثبات دون أن ترسم ملامحه أي انطباع وكأنه إنسان آلي يصدر رسالة مسجلة! . . فرد عليه مجدي هاشم في سخرية واضحة. .

-يا عم رشاد أنا لم أقتلهم، هؤلاء شهداء، "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله

أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون" . . القرآن واضح، هم أحياء بل ويرزقون ويفرحون ويستبشرون، ويا سيدي الدم كله حرام لا أعارض ذلك وإن كنت أريد التأكيد على أنهم كانوا في طريقهم لسفك دمك البريء في أمن الدولة دون تأنيب لضمير، ولكن للعلم ضريبة، دائرة صغيرة كانت تنتفع بمن قتلوا، ولكن العلم ينعكس أثره على الإنسانية كلها.

-وما دخل أم العلم في الموضوع!؟

قلتها غاضبا حانقا وقد استثارني كلام مجدي هاشم الساخر من جريمته المنكرة بدلا من أن يخجل من جرم ما صنع أو يشعر بندم على أتيانه كبيرة من الكبائر، فاكتفى مجدي هاشم بالنظر لي بلا مبالاة وكأنني طفل أبله أمامه يسيل من أنفه مخاط ومن فمه لعاب يسأل أسئلة في غير محلها، ثم نظر إلى رشاد البسيوني متسائلا . .

-جاهز الآن لتفى بوعدك وتجيب على كل أسئلتي ليعرف هاني بيه رمزي الشاب الصغير ما دخل العلم بالموضوع؟!

-أنا مطالب أن أفي بوعدي وإن كان الثمن حياتي.

أمسك مجدي هاشم بأحد الأقلام أمامه استعدادا للكتابة، وأشار إلي أن أفعل مثله ناصحا في كبر . .

-اكتب ما تراه مهما فقط، وحاول ألا تندهش أوتقاطعنا.

ثم وجه كلامه لرشاد البسيوني سائلا في اقتضاب وقد بدت عليه جميع إمارات الجدية . .

-من أنت ؟!

وبدأ رشاد البسيوني يحكي ما أثار دهشتي وذهولي!

* * *

(سفر حزقيال – الإصحاح الأول):

١كَانَ فِي سَنَةِ الثَّلاَثِينَ، فِي الشَّهْرِ الرَّابِعِ،فِي الْخَامِسِ مِنَ الشَّهْرِ، وَأَنَا بَيْنَ الْمَسْبِيِّينَ عِنْدَ نَهْرِ خَابُورَ، أَنَّ السَّمَاوَاتِ انْفَتَحَتْ، فَرَأَيْتُ رُؤَى اللهِ.

× × ×

٤فَنَظَرْتُ وَإِذَا بِرِيحٍ عَاصِفَةٍ جَاءَتْ مِنَ الشِّمَالِ. سَحَابَةٌ عَظِيمَةٌ وَنَارٌ مُتَوَاصِلَةٌ وَحَوْلَهَا لَمَعَانٌ، وَمِنْ وَسْطِهَا كَمَنْظَرِ النُّحَاسِ اللاَّمِعِ مِنْ وَسْطِ النَّارِ.

٥وَمِنْ وَسْطِهَا شِبْهُ أَرْبَعَةِ حَيَوَانَاتٍ. وَهذَا مَنْظَرُهَا: لَهَا شِبْهُ إِنْسَانٍ.

٦وَلِكُلٍّ وَاحِدٍ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ، وَلِكُلٍّ وَاحِدٍ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ.

٧وَأَرْجُلُهَا أَرْجُلٌ قَائِمَةٌ، وَأَقْدَامُ أَرْجُلِهَا كَقَدَمِ رِجْلِ الْعِجْلِ، وَبَارِقَةٌ كَمَنْظَرِ النُّحَاسِ الْمَصْقُولِ.

٨وَأَيْدِي إِنْسَانٍ تَحْتَ أَجْنِحَتِهَا عَلَى جَوَانِبِهَا الأَرْبَعَةِ. وَوُجُوهُهَا وَأَجْنِحَتُهَا لِجَوَانِبِهَا الأَرْبَعَةِ.

٩وَأَجْنِحَتُهَا مُتَّصِلَةٌ الْوَاحِدُ بِأَخِيهِ. لَمْ تَدُرْ عِنْدَ سَيْرِهَا. كُلُّ وَاحِدٍ يَسِيرُ إِلَى جِهَةِ وَجْهِهِ.

١٠أَمَّا شِبْهُ وُجُوهِهَا فَوَجْهُ إِنْسَانٍ وَوَجْهُ أَسَدٍ لِلْيَمِينِ لأَرْبَعَتِهَا، وَوَجْهُ ثَوْرٍ مِنَ الشِّمَالِ لأَرْبَعَتِهَا، وَوَجْهُ نَسْرٍ لأَرْبَعَتِهَا.

١١فَهذِهِ أَوْجُهُهَا. أَمَّا أَجْنِحَتُهَا فَمَبْسُوطَةٌ مِنْ فَوْقُ. لِكُلٍّ وَاحِدٍ اثْنَانِ مُتَّصِلاَنِ أَحَدُهُمَا بِأَخِيهِ، وَاثْنَانِ يُغَطِّيَانِ أَجْسَامَهَا.

١٢وَكُلُّ وَاحِدٍ كَانَ يَسِيرُ إِلَى جِهَةِ وَجْهِهِ. إِلَى حَيْثُ تَكُونُ الرُّوحُ لِتَسِيرَ تَسِيرُ. لَمْ تَدُرْ عِنْدَ سَيْرِهَا.

١٣أَمَّا شِبْهُ الْحَيَوَانَاتِ فَمَنْظَرُهَا كَجَمْرِ نَارٍ مُتَّقِدَةٍ، كَمَنْظَرِ مَصَابِيحَ هِيَ سَالِكَةٌ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ. وَلِلنَّارِ لَمَعَانٌ، وَمِنَ النَّارِ كَانَ يَخْرُجُ بَرْقٌ.

١٤الْحَيَوَانَاتُ رَاكِضَةٌ وَرَاجِعَةٌ كَمَنْظَرِ الْبَرْقِ.

١٥فَنَظَرْتُ الْحَيَوَانَاتِ وَإِذَا بَكَرَةٌ وَاحِدَةٌ عَلَى الأَرْضِ بِجَانِبِ الْحَيَوَانَاتِ بِأَوْجُهِهَا الأَرْبَعَةِ.

١٦مَنْظَرُ الْبَكَرَاتِ وَصَنْعَتُهَا كَمَنْظَرِ الزَّبَرْجَدِ. وَلِلأَرْبَعِ شَكْلٌ وَاحِدٌ، وَمَنْظَرُهَا وَصَنْعَتُهَا كَأَنَّهَا كَانَتْ بَكَرَةٌ وَسْطَ بَكَرَةٍ.

١٧لَمَّا سَارَتْ، سَارَتْ عَلَى جَوَانِبِهَا الأَرْبَعَةِ. لَمْ تَدُرْ عِنْدَ سَيْرِهَا. ١٨أَمَّا أُطُرُهَا فَعَالِيَةٌ وَمُخِيفَةٌ. وَأُطُرُهَا مَلآنَةٌ عُيُونًا حَوَالَيْهَا لِلأَرْبَعِ.

١٩فَإِذَا سَارَتِ الْحَيَوَانَاتُ، سَارَتِ الْبَكَرَاتُ بِجَانِبِهَا، وَإِذَا ارْتَفَعَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَنِ

الأَرْضِ ارْتَفَعَتِ الْبَكَرَاتُ.

٢٠إِلَى حَيْثُ تَكُونُ الرُّوحُ لِتَسِيرَ يَسِيرُونَ، إِلَى حَيْثُ الرُّوحُ لِتَسِيرَ وَالْبَكَرَاتُ تَرْتَفِعُ مَعَهَا، لأَنَّ رُوحَ الْحَيَوَانَاتِ كَانَتْ فِي الْبَكَرَاتِ.

٢١فَإِذَا سَارَتْ تِلْكَ سَارَتْ هذِهِ، وَإِذَا وَقَفَتْ تِلْكَ وَقَفَتْ. وَإِذَا ارْتَفَعَتْ تِلْكَ عَنِ الأَرْضِ ارْتَفَعَتِ الْبَكَرَاتُ مَعَهَا، لأَنَّ رُوحَ الْحَيَوَانَاتِ كَانَتْ فِي الْبَكَرَاتِ.

٢٢وَعَلَى رُؤُوسِ الْحَيَوَانَاتِ شِبْهُ مُقَبَّبٍ كَمَنْظَرِ الْبِلَّوْرِ الْهَائِلِ مُنْتَشِرًا عَلَى رُؤُوسِهَا مِنْ فَوْقُ.

٢٣وَتَحْتَ الْمُقَبَّبِ أَجْنِحَتُهَا مُسْتَقِيمَةٌ الْوَاحِدُ نَحْوَ أَخِيهِ. لِكُلِّ وَاحِدٍ اثْنَانِ يُغَطِّيَانِ مِنْ هُنَا، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ اثْنَانِ يُغَطِّيَانِ مِنْ هُنَاكَ أَجْسَامَهَا.

٢٤فَلَمَّا سَارَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ أَجْنِحَتِهَا كَخَرِيرِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ، كَصَوْتِ الْقَدِيرِ. صَوْتَ ضَجَّةٍ، كَصَوْتِ جَيْشٍ. وَلَمَّا وَقَفَتْ أَرْخَتْ أَجْنِحَتَهَا.

٢٥فَكَانَ صَوْتٌ مِنْ فَوْقِ الْمُقَبَّبِ الَّذِي عَلَى رُؤُوسِهَا. إِذَا وَقَفَتْ أَرْخَتْ أَجْنِحَتَهَا.

٢٦وَفَوْقَ الْمُقَبَّبِ الَّذِي عَلَى رُؤُوسِهَا شِبْهُ عَرْشٍ كَمَنْظَرِ حَجَرِ الْعَقِيقِ الأَزْرَقِ، وَعَلَى شِبْهِ الْعَرْشِ شِبْهٌ كَمَنْظَرِ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ مِنْ فَوْقُ.

٢٧وَرَأَيْتُ مِثْلَ مَنْظَرِ النُّحَاسِ اللاَّمِعِ كَمَنْظَرِ نَارٍ دَاخِلَهُ مِنْ حَوْلِهِ، مِنْ مَنْظَرِ حَقْوَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَمِنْ مَنْظَرِ حَقْوَيْهِ إِلَى تَحْتُ، رَأَيْتُ مِثْلَ مَنْظَرِ نَارٍ وَلَهَا لَمَعَانٌ مِنْ حَوْلِهَا.

* * *

أجاب رشاد البسيوني بهدوءه المعتاد على سؤال مجدي هاشم قائلا . .

– لن يفرق اسمي كثيرا معكم، ولكنني عرفت على الأرض باسم رشاد البسيوني، أعيش بينكم منذ أكثر من ثمانين عاما . .

ألقيت بقلمي على المنضدة ساخطا من استهزاء هذا الرجل بنا، يجلس إليه أستاذ جامعي زاد سنه عن الخمسين، وصحفي كبير مثلي يعمل بأكبر الصحف اليومية في مصر ليستهزأ بنا بهذا الشكل!

–ما بك ؟!

تساءل مجدي هاشم في اندهاش وكأن ما قاله هذا الرجل لا يثير سخطا أو حنقا!

–ألم تسمعه وهو يقول أن عمره ثمانون عاما؟!

–أعتذر لك يا هاني، لقد أخطأت فهمي، أنا بينكم منذ أكثر من ثمانين عاما . .

عقّب رشاد البسيوني في بساطة تأكيدا على جملته السابقة . .

–تقصد كحيوان منوي . .!

قلتها ساخرا، لا يمكن مقابلة هذا الذي يقوله إلا بسخرية!

–اتركه يكمل كلامه وستفهم يا هاني كل شيء في وقته. .

قالها مجدي هاشم متدخلا في الحديث بهدوء وابتسامة خبيثة وجدت طريقها إلى وجهه وكأنه يعرف شيئا لا أعرفه، لقد ساقني القدر لأن أجلس بين اثنين

obeikan.com

من المخابيل!

-أقصد أن عمري يا هاني يجاوز ذلك كثيرا جدا، ولكنني أتيت إلى الأرض منذ أكثر من ثمانين عاما.

-أتيت إلى الأرض؟! . . أتيت إلى الأرض؟! . . أتيت من أين ؟! . . هل أنا أجلس مع مخلوق فضائي؟!

قلتها في سخرية واضحة من هذين المعتوهين، فتبسم مجدي هاشم في خبث ونظر إلى رشاد البسيوني الذي تبسم في ود معقبا في هدوء مستفز . .

-بالضبط، هذا ما أريد قوله من البداية . . أنت تجلس مع ما يعرف لديكم بالمخلوق الفضائي.

* * *

-هذه دعابة ثقيلة، أليس كذلك؟! . . إنها الكاميرا الخفية، أين هو إبراهيم نصر؟! . . فلتترك نفخ البلالين يا نجاتي ولتأت لتحضر هذه المسرحية الكوميدية.

قلتها في غضب وهممت بالنهوض فقبض مجدي هاشم فجأة على زراعي بقسوة وجذبني بعنف لأجلس ثانية، قائلا في غضب وجدية والشرر يتطاير من عينيه . .

-أنا لم أحضر إلى هنا أيها الأحمق الغبي ولم أتكبد كل تلك المشاكل بل وأحضرك معي كي نجلس ونتضاحك، إن كان لديك أسئلة فلتسألها، غير ذلك سأدفنك حيا تحت أقدامنا كي نكمل جلستنا في صمت. .

لم يكن هذا صوت رجل يمزح أو يتمازح!

كان هذا صوت رجل قتل منذ ساعات خمسة رجال دون تأنيب ضمير!

إذا لا مجال لتفسير الأمر بالمزاح، لابد أنهما مخبولان بالفعل، المجانين فقط هم من يقتلون الأبرياء دون أن يقتلهم الندم وهم أيضا في ذات الوقت من يتحدثون عن الكائنات الفضائية بجدية، وفي كل الأحوال هم خطر شديد ولابد من الحرص ومجاراتهم إن كنت أنتوي الخروج من هذا المكان حيا أرزق سائرا على قدمي!

أسندت رأسي إلى ساعدي على المنضدة، ثم فكرت أنا أجاريهم مؤقتا حتى أخرج سالما من هذا المأزق الذي قادني إليه فضولي اللعين، فسألت رشاد البسيوني في استهزاء متعمد.

-حسنا، حضرتك يا أستاذ رشاد كائن فضائي، ولكن كيف أصدق بأنك كائن فضائي وليس هناك غيرنا في هذا الكون الفسيح.

-صدقني أنت يا هاني أنا لا أعرف ما مصدر الثقة التي تتحدث بها، ولكن من قال لك أو أثبت لك هذا؟!

أجابني رشاد البسيوني في هدوء المقتنع بكونه على صواب!

-الله عز وجل يقول أنه اصطفى بني آدم، لم يتحدث عن غيرنا من المصطفين!

-القرآن يقول "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"، الآيات واضحة يا هاني، الله

يتحدث عن تفضيل بني آدم على (كثير) ممن خلق تفضيلا، وليس على (كل) من خلق، أو (مما) خلق، (كثير وممن) تدلان على أن هناك من هم أفضل من بني آدم من المخلوقات العاقلة.

-ومن هم إذا ؟! . . أنتم ؟!

-أو غيرنا . .

-ولم لا يكون قصد الآية الملائكة . .

-أنت كهاني بمعرفتك المحدودة وبعقل بني آدم من البشر لابد أن تميل إلى أن الآية تتحدث عن الملائكة ولكنك في الحقيقة لا تستطيع أن تجزم بذلك بوجه قاطع، وبخاصة أنك لا يمكن لك تحديد كيفية تفضيل بني آدم على الملائكة!

-وما دليلك على أن هناك مخلوقات آخرى عاقلة مثلما تقول تعيش في الفضاء؟!

-أنا الدليل . . ثم صمت برهة وتابع . . وبالمناسبة هي لا تعيش في الفضاء معلقة أو سابحة في الفراغ، بل تعيش على كواكب تشبه كوكبكم المُعلق كغيره في فضاء الكون الرحب.

لابد أن هذا الرجل مخبول بالفعل! . . فسألته في نفاذ صبر . .

-يا أستاذ رشاد، كيف تكون أنت الدليل؟!، فيك الخصاااام وأنت الخصم والحكم! . . كيف تثبت لي أنك لست مثلنا ؟!، هذا ما استفسر عنه!

ابتسم رشاد البسيوني وقد بدت لي ابتسامته ابتسامة سخرية من غبائي أو من قدراتي العقلية الضعيفة والمحدودة والتي لا تقدر على فهمه قائلا . .

obeikan.com

-فهمت قصدك، أنت تريد إثباتا ماديا مقنعا لك كأن أريك بشرتي الخضراء أو أكشف لك عن عيني الحمراوين أو أخرج لك لساني المشقوق . . أليس كذلك ؟!

-بدأت تفهمني.

قلتها في ارتياح ووضعت القلم بهدوء على الأوراق ورجعت بظهري إلى الكرسي وقد اعتقدت أنني قد كشفت أكذوبته ضعيفة الحبكة أمام مجدي هاشم الذي لا بد قد خُدع فيه، آن لي أن أفرح بنصري، ولكن رشاد البسيوني لم يبد عليه أنه قد أصابه أي أحباط من كلماتي وتابع في هدوء مبتسما في ود . .

-وهل تتخيل مثلا أن كل ما أحتاجه لأثبت لك أنني لست من سكان الأرض هو هذه المؤهلات غير الموجودة إلا في أفلام وروايات الخيال العلمي ؟! . . صمت برهة ثم تابع . . حسنا، سأصيبك أنت بالإحباط قليلا يا هاني، فلا وجود لاختلافات جوهرية في الشكل الظاهري على الأقل بيننا وبينكم، ولا يختلف حتى وضع الأعضاء الداخلية في الجسد كثيرا عنكم، وهذا يفسر لك كيف استطعتُ أن أعيش بينكم كل هذه السنوات دون أن يكتشف حقيقتي أحد!

تأكد لدي حينها وجهة نظري في هذا الرجل المجنون!، فجاريته في كلامه عملا بمبدأ أن أظل مع الكذّاب حتى باب الدار . .

-يا أستاذ رشاد رغم عدم اقتناعي بمبررك الواهي هذا، ولكن من حيث المبدأ ولأنني مسلم فأعتقد أنه لو كان هناك غيرنا لتحدث عنهم القرآن الكريم أو ذكر خبرهم سيدنا رسول الله أو . .

-من فضلك يا هاني في مثل تلك الأمور لتجادلني بما يوجد في القرآن الكريم

وحسب !

قاطعني رشاد البسيوني في تأدب، فاستطردت في إصرار على رأيي . .

-وأحاديث سيدنا رسول الله.

أصر رشاد البسيوني على كلامه قائلا في تأدب . .

-اسمح لي، لا أحب التعليق على هذا الأمر.

-أنت يبدو عليك أنك تحب سماع إسلام البحيري أو الشيخ ميزو أو تراك من القرآنيين.

قلتها في حدة مشيحا بيدي فنظر لي مجدي هاشم في لوم نظرة زاجرة ملجمة، ولكن رشاد البسيوني أكمل حديثه باسما . .

-كيف أكون من القرآنيين يا هاني وأنا من الأساس كما قلت لك لست من هذا الكوكب؟!، ودِيني وإن كان لا يختلف عن الإسلام وسائر الديانات السماوية ولكنني لا أعبد الله بطريقتكم، نحن وأنتم نعبد إلها واحدا أحدا لا شريك له ولا ولد، أما النقطة التي اختلفنا حولها، فالله عز وجل يقول: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" . . تلك هي أهم آية في القرآن الكريم، ولذلك كان قطعي الثبوت، ولذلك أقول لك بثقة أن كل ما في القرآن لا مجال لأحد للتشكيك في صحته إن كنت حقا تؤمن بالله وبعظائم قدرته، قد يختلف البعض على التفسير ولكن الأساس واحد لا خلاف حوله، أنت فقط قد لا تفهمه على الوجه الصحيح، والقرآن إن لم يذكر شيئا فليس معنى ذلك عدم وجوده أو إنكارك له، ولكن إن

obeikan.com

ذكره فعليك التيقن والإيمان تماما من وجوده، يبقى فقط أن تثبت وجوده فعليا.

-يا (واد) يا مؤمن!، وكل الأحاديث الموجودة في صحيح البخاري ومسلم نمزقهم أم نحرقهم!؟

قلتها له في سخرية من هذا المخلوق الفضائي الذي جاء يعلمنا ديننا الذي لا يؤمن به، فقطب جبينه قائلا في عتاب . .

-هاني، أنت تكثر من الجدال الذي لا طائل منه، ألم تسمع بحديث الرسول محمد "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا" والمراء كما فسره المفسرون هو الجدال ؟!

-كيف هذا والقرآن الكريم يقول الله عز وجل فيه آمرا سيدنا محمد:"وجادلهم بالتي هي أحسن".

فقاطعني رشاد البسيوني ليكمل الآية التي لا أحفظ منها غير ما قلته!

-"إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" . . الله أعلم بالضالين والمهتدين، ولكنه يأمر الرسول محمد بجدالهم بالتي هي أحسن، لا لبس في الآية، ولكنها تختلف وتتعارض مع الحديث المذكور في صحيح البخاري والذي يأمركم فيه الرسول محمد بترك الجدال وإن كنت محقا! . . أترى ؟!

لم استطع حينها الرد عليه، لقد أسقطت في يد هذا الشيطان المتنكر في هيئة البشر والذي يبدو أنه يتحدث بوحي من إبليس اللعين ذاته! . . تابع حديثه في هدوء غير متفاخرٍ بنصره في تلك الجولة بمنطقه الذي ألجمني . .

-والأمثلة كثيرة، القرآن يقول "إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا" . . الظالمون من يدعون ذلك عن الرسول محمد، والله يقول في القرآن أيضا :" والله يعصمك من الناس" . . وعلى الرغم من ذلك ذُكر في صحيح البخاري أن الرسول محمد سحر وأنه لم يكن يدري حينها بأفعاله التي يفعلها وبأقواله التي يقولها، فمن تصدق؟! . . القرآن أم البخاري؟! . . الأمثلة كثيرة والحل أن تقتضي بسنة الرسول محمد وأن تحرق البخاري ومسلم وما شابههم!

اتسعت عيناي في غضب لوقاحته، ولكنه تابع في سرعة . .

-قبل أن يتملكك الغضب، الرسول محمد أمر صحابته بإحراق ما كانوا يدونونه عنه من أحاديث حين عرف بالأمر ونهاهم عن ذلك، وفعل مثله أبو بكر الصديق وأحرق ما كان قد جمعه بنفسه من أحاديث عن الرسول محمد وكانوا يقتربون من الخمسمائة، فعلها عمر بن الخطاب أيضا وأحرق ما جمعه الصحابة من أحاديث، هل تتخيل الأمر، ابحث في هذا الموضوع بنفسك فأنا لا أخدعك أو أكذب عليك، ثم يأتي البخاري ومسلم والترمزي والنسائي وأبو داوود وابن ماجة والدارمي ليجمعوا الأحاديث بعد أكثر من قرنين من هجرة الرسول محمد! . . هل تضمن أنت في عصرك الحديث هذا أن تدون كلاما قيل منذ عشرة أيام دون أن يتغير!

-ماذا تريد أن تقول؟!

قلتها في حدة وقد تخيلت نفسي أجلس أمام إبليس اللعين وهو يستميت لكي يفسد علي ديني، وليس هذا الرجل بزعيم للملحدين وحسب!

-أريد أن أقول أن القرآن الكريم لم ينف وجود أحدا غير بني آدم، بل أزيد وأقول لك بأنه قد ألمح لذلك في قول الله: "وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا"، لكن الأحاديث المنقولة عن الرسول محمد عليك ألا تعتمد عليها كثيرا حتى وإن تيقنت تماما من صحتها، فهناك قاعدة أرساها لكم رسولكم محمد وهي "أنتم أعلم بأمر دنياكم" . . أي ربما تكون أكثر علما منه هو شخصيا في أمور الدنيا، عليك التفريق بين محمد الرسول، ومحمد البشر.

-أنت ها هنا مخطيء، بنفس منطقك الضعيف القرآن يقول عن سيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام "وما ينطق عن الهوى" . . !

أبديت اعتراضي في سرعة بعدما لاح لي نصر قريب في هذا النقاش، ولكن رشاد البسيوني قال ونفس الابتسامة لم تغادر شفتيه . .

-ما ينطق عن الهوى فيما يختص بالوحي، الآية تتحدث عن القرآن الكريم، وأن الرسول محمد ما ينطقه عن هوى ولكنه وحي يوحى إليه من الله، أما الرسول محمد كواحد من البشر فهو يخطيء ويصيب في الأمور الحياتية العادية، فيعبس حين جاءه الأعمى، ويخبر أحدهم غاضبا لانتهاك حرمات الله بأن ما له من توبة فيراجعه الله في قوله، ويتحدث في الزراعة ويطلب من صحابته ألا يلقحوا النخل، ولما لم يثمر يضع قاعدة ذهبية بأنكم أعلم بأمر دنياكم، قل لي يا هاني، هل تختفي الشمس ولو للحظة عن الأرض!

-إن حدث هذا فتلك نهاية الكون!

-هي نهاية الأرض ونهاية مجموعتكم النجمية ذلك صحيح وليس نهاية الكون،

ولكن أتدري أن الرسول محمد متحدثا عن رأيه كبشري سأل يوما أبا ذر الغفاري وقت غروب عن مكان غروب الشمس، ولما لم يجبه قال أنها تذهب حتى تسجد تحت عرش الرحمن تفسيرا لآية "والشمس تجري لمستقر لها". على الرغم أن الكون كله تحت عرش الرحمن وأن الشمس من الناحية العلمية لا تختفي على الإطلاق بل هي ظاهرة طوال الوقت وتغرب عن مكان لكي تشرق في مكان آخر!

-قل لي وأرحني . . أنت ملحد أم أبليس بنفسه أم ماذا تكون؟!

-أنت من فتح موضوع الأحاديث الخاصة بالرسول محمد رغم رفضي لذلك، ولكن لنعد للموضوع الرئيسي، نعم لا عائق علمي أو منطقي أو ديني بالنسبة إليك يمنعك من الاقتناع بوجود كائنات أخرى عاقلة على كواكب أخرى اليوم، بل على كوكبكم الأرض قبلكم.

قال جملته الأخيرة في بطء مختبرا وقعها علي، ثم توقف عن الحديث منتظرا تعقيبا او اعتراضا مني، فقلت بإحباط . .

-لا، أنا لن أعترض، الأمر كله لا يتعدى الخيالات التي يزدحم بها رأسك!

-كائنات عاقلة قبلنا على الأرض؟!

كان هذا السؤال المتعجب من مجدي هاشم بعد برهة من التأمل والذي لم يكن قد نطق حرفا واحدا منذ بداية النقاش، ولكن يبدو أن رشاد البسيوني قد أثار دهشته أخيرا بكلماته الأخيرة!

-نعم، كائنات عاقلة قبلكم على الأرض، قبل بني آدم.

قالها رشاد البسيوني في ثبات وثقة!

-أنت تخرف – قلتها – اسمح لي، هل هناك شك أن سيدنا آدم هو أبو البشر أيضا ؟!

-هو أب لكل بني آدم يا هاني، ولكن هذا الكلام على أفضل تقدير لا يبتعد عن أربعين ألف سنة، قد يكون الدكتور مجدي هاشم قد سمع عن الجماجم المختلفة لأكثر من شبيه بالإنسان عمرها يتجاوز الخمسة ملايين سنة، هؤلاء ممن عاشوا على الأرض من قبل آدم، الذين أفسدوا فيها وسفكوا الدماء واشتكت منهم الملائكة لله، آخرهم لم يبق من نسلهم غير قومي يأجوج ومأجوج يا هاني، حضارات عدة ظهرت واندثرت قبل آدم وهم الذين وجدتم عظامهم ورسومهم وأثارهم من معادن وإبر وخيوط وأدوات ترجع لملايين السنين لا تستطيعون صنع مثلها الآن والذين بلغوا درجات تسبقكم كثيرا من التطور والتقدم العلمي والحضاري!

"ظل رشاد البسيوني يعدد اكتشافات كثيرة في بيرو ومدينة تسمى كابونو جنوب تركيا ومناطق بشمال وجنوب انجلترا لم أمتلك السرعة لكتابتها خلفه، واكتفيت بتسجيل أسماء المدن على أن أبحث عن معلومات كافية عنها في أقرب فرصة".

-هؤلاء هم من عاشوا على الأرض من قبلكم، من قبل آدم، أجيال متعاقبة وحضارات فنيت واختفت من على وجه الأرض وظهرت غيرها وغيرها قبل آدم، منهم الذين قضوا على أنفسهم بأنفسهم ولم يستغلوا تقدمهم العلمي والحضاري

أي استغلال، أهلكهم علمهم وقضت عليهم حروبهم، ومنهم من أهلكهم الله بكوارث طبيعية بسبب إفسادهم في الأرض، ومنهم من هلك معظمهم ولم يبق منهم غير القليل كما قلت لك مثل قومي يأجوج ومأجوج محتجزين خلف سد ذي القرنين إلى أن يشاء الله يا هاني، لولا ذلك السد لهلك نسل بني آدم جميعهم واختفى من على الأرض كمن سبقوهم لولا أن أرسل الله لهم ذا القرنين.

-من أين عرفت كل هذه المعلومات؟

قالها مجدي هاشم الذي يبدو أنه يصدقه تماما وينقصه فقط التأكد من مصدر المعلومات التي قالها رشاد البسيوني!

-أخبرتك أنني أعرف الكثير يا دكتور مجدي، لتقل أن مصدر المعلومات هو طرف ثالث ليس على الأرض هذه الأيام.

-لا أفهم هذه النقطة تحديدا . .

قالها مجدي هاشم وقد رسمت ملامحه أقصى إمارات الاهتمام، فأجابه رشاد البسيوني . .

-لسنا أول من جاء الأرض وليست الأرض أولى محطاتنا . .

خطّ مجدي هاشم ملحوظة يبدو أنها تتعلق بجملة رشاد البسيوني الأخيرة، فاعترضت حديثهم سائلا مجدي هاشم في استنكار . .

-هل كل ما يشغلك مصدر المعلومات، لكنك تصدق كل ما قاله!

-أنا استمع إليه بأذن العالم ومرحلة التصديق من عدمه مرحلة متقدمة للغاية

يا هاني، حاول أن تكن مثلي، ولكني واثق من فشلك في ذلك.

قالها مجدي هاشم في غرور واضح، مما أثار حنقي فقلت غاضبا . .

-إنه يقول لك أنهم ليسوا أول من هبط على الأرض!

فتدخل رشاد البسيوني وابتسامته لا تفارق وجهه . .

-نعم يا هاني، هذا صحيح، ألم تسمع من قبل بسفر حزقيال ؟!

-ومن حزقيال هذا إن شاء الله ؟!

قلتها في نفاذ صبر فأجابني رشاد البسيوني . .

-حزقيال بن بوزي الكاهن، المتنبي، أو كما يعتبره اليهود نبيا من الأنبياء الذين بعثهم الله لبني إسرائيل أيام السبي البابلي، في الإصحاح الأول يتحدث عن رؤيته لرسل الله إليه عندما كان يمشي على شاطي نهر خابور بالقرب من بغداد، ويصف ما حدث عندما ظهروا له، يصف مركبة فضائية بأدق التفاصيل، استغل ما رآه وادعى النبوة في قومه استنادا على إبهارهم بما شاهده ليعيد الخراف التائهة إلى حظيرة الرب، فعل ذلك من منطلق نبل الغاية يبرر الوسيلة، ولم يعتبر نفسه من الكاذبين حينها.

-وما الذي يدعوك لقول هذا؟! . . ربما كان نبيا بالفعل.

سأله مجدي هاشم متعجبا، فأجابه رشاد البسيوني . .

-لأن ببساطة شديدة، المركبة الفضائية التي رآها ووصفها بدقة بالغة هي ذاتها التي استخدمها سكان كوكب يعرف لديكم باسم (جليزا ٥٨١ دي) في تنقلاتهم

obeikan.com

عبر الكون.

-وكيف تأكدت أنت من هذا لتتحدث بكل هذه الثقة؟!

سألته في نفاذ صبر وقد أثار ثباته استفزازي . .

-لا، لسنا نحن سكان هذا الكوكب كما يظن الآن دكتور مجدي، ولكننا رأينا هذه المركبات لديهم عندما هبطنا على كوكبهم مرة من قبل منذ زمن بعيد، كوكبهم الآن بسبب الإشعاعات النووية لا يصلح للحياة.

-كل ما تقوله مجرد خيالات لا أساس لها من الصحة! . . أنت تستغل جهلنا لتخدعنا بمثل هذه القصص التي لا يصدقها طفل!

قلتها وقد استشعرت غضبا شديدا حينها لقدومي لمصحة الأمراض العقلية هذه بإرادتي، لم ألق بالا لعاقبة كلماتي، فنهرني مجدي هاشم قائلا في غضب . .

-لتتحدث عن جهلك فقط، ولن أحذرك مرة ثانية من السخرية مما يقال يا متخلف.

قاطعه رشاد البسيوني موجها كلامه لي قائلا في هدوء . .

-صدقني يا هاني، لو أخبرتك من البداية أنني نفرٌ هارب من مملكة الجن وقد عاقبوني بأن جعلوني في هيئة البشر، لكنت صدقتني في كل ما أقوله دون أي جدال، ولم تكن حتى لتتساءل كيف تمثلت لك كجني في صورة بشر مثلكم ولم لا أريك قرني رأسي أو ذيلي أو لساني المشقوق أو تطلب مني أن أشعل لك سيجارتك بنيراني . . لو أخبرتك أنني من الجن فهذا ما يتقبله عقلك الباطن

obeikan.com

بكل بساطة، لكن حقيقة الأمر عسيرة على الفهم والاستيعاب وأنا أدرك ذلك، لأنه ليس مما عهدته في تراثك وموروثاتك الثقافية والحضارية والدينية فيرفضها عقلك بشدة.

يبدو أنه ما من نهاية قريبة لهذه المسرحية الهزلية، استعدت هدوئي وسحبت شهيقا عميقا من هواء الغرفة، ثم تحدثت في هدوء محاولا مجاراته حتى النهاية. .

-حسنا، أعدك يا أستاذ رشاد بأنني سأجعل المخلوقات الفضائية ضمن موروثاتي الحضارية والثقافية ونستثني الدينية، أخبرني إذا كيف وصلت إلى هنا على كوكب الأرض ؟!

* * *

عندما سألت سؤالي الأخير أصاب رشاد البسيوني بعضا من التوتر وزحف الحزن على ملامح وجهه، ثم أجابني في تأثر أثار دهشتي . .

-المرة الأولى التي حاولنا فيها الهبوط على الأرض انفجرت السفينة التي كانت تقل رفاقي، كان ذلك يوم ٣٠ يونيو ١٩٠٨ الساعة ٠٧:١٧ صباحا بتوقيت الأرض بالقرب من نهر تونغوسكا في بودكامينايا . .

-انفجار سيبيريا . . !

قالها مجدي هاشم في ذهول حقيقي وكأنه حضر تلك الواقعة أو أن انفجار السفينة قد تسبب في مقتل أحد أقاربه!، وعندما حاولت التدخل محاولا الفهم، أشار لي مجدي هاشم بحدة أن اصمت فابتلعت لساني وتساؤلاتي وصمت، فتابع

obeikan.com

رشاد البسيوني بنفس التأثر البالغ. .

-بالضبط يا دكتور مجدي كان ذلك في سيبيريا في روسيا، وكانت تلك البعثة الاستكشافية الأولى للأرض، حدث خلل بمحركات السفينة النووية أدى لهذا الانفجار المروع . . لم تكتب النجاة لأي أحد من طاقم السفينة، بعدها بما يقرب من العشرين عاما كنت أنا ومجموعتي المرافقة نهبط بسلام على هذا الكوكب.

-أنت ومجموعتك؟!

تساءل مجدي هاشم في اهتمام بالغ وفضول مريب يتقافز في عينيه، ففهم رشاد البسيوني في سرعة مقصده وأجابه . .

-نعم أنا ومجموعتي، كنا حينها أربعة سيهبطون على الأرض من أصل فريق يتكون من ثلاثة عشر سيكمل رحلته الاستكشافية في الكون الرحب، هبطت أنا بمصر وآخر في المكسيك وثالث في الصين والأخير في فرنسا.

-وكيف كنتم تتواصلون فيما بينكم؟! . . سأله مجدي هاشم.

-حين تم القبض علي في تلك الليلة وجدوا لدي شيئين لم يعرفوا ما هما حتى هذه اللحظة وهما ما أثارا حولي الشكوك، أحدهما كان بمثابة الهاتف المحمول عندكم في هذه الأيام، وسيلة اتصالي برفاقي على الأرض.

-والآخر ؟!

سألته في فضول، فأجاب دون تردد. .

-الآخر كان وسيلة نقل المعلومات لموطني، لا أحد غيري يستطيع تشغيل هذين

obeikan.com

الجهازين.

-ولم لا نتواصل مع بقية فريقك لترحيلك خارج البلاد . . ؟!

كان هذا مجدي هاشم الذي فضحت ملامحه لهفته للاستحواذ على بقية فريق رشاد البسيوني، يحاول أن يحصل على العشر عصافير المتناثرين على الشجرة بعد أن نجح في أن يسقط أول عصفور في قبضة يده، وأكد نواياه ذلك الإحباط الشديد الذي طفح على ملامحه من رد رشاد البسيوني عليه . .

-لقد انقطع الاتصال بهم تباعا، أغلب الظن أنهم جميعا لقوا حتفهم ولم يبق منهم أحد.

تناسى مجدي هاشم الإحباط في ثانية ثم اعتدل في جلسته وقد خطر على باله خاطر ملِّح فسأله متعجبا . .

-انقطع اتصالهم بك، لكن ممن الممكن استمرار اتصالهم بموطنك. . أليس كذلك؟!

-وكيف لي أن أعرف! . . الجهاز الآخر إرسال فقط لا يستقبل شيئا!

-أستاذ رشاد، لدي سؤال، بل عدة أسئلة صراحة . .

سألته في اهتمام، فهز رأسه أن لا مانع، فسألته في حذر مفصحا عن مخاوفي إن صح كل ما يحكيه من البداية . .

-بصراحة شديدة أجبني من فضلك، لم جئتم إلى الأرض؟

-لم نأت بضرر مثلما جاء غيرنا ؟!

obeikan.com

-غيركم!!

نطقتها ومجدي هاشم في ذهول في وقت واحد! . . هذا الرجل قادر بشدة أن يثير دهشتنا في كل مرة يتفوه فيها بكلمة . . تصديقه من عدمه ليست هي المشكلة، ولكن كلماته المرتبة لا تدل على الإطلاق أن المتحدث مجنون . . المجانين يثيرون شفقتك وسخريتك، لكن رشاد البسيوني كلماته المتزنة لابد أن تثير دهشتك!

-نعم غيرنا . . جاءوا يحملون الشر والخراب ولم يتم الله مخططهم . . من سوء حظهم أن تتعطل سفينتهم الأولى فوق روزويل في نيومكسيكو في يوليو ١٩٤٧، نحن نعرف كوكبهم في موطني خير المعرفة، لهم مخططات استعمارية مدمرة، عندما سقطت سفينتهم الاستكشافية الأولى قبل هبوطها على الأرض اعتقدوا أن على الأرض أسلحة دفاع مدمرة نالت منهم فصرفوا النظر عن هذا الكوكب، لقد التقط زميلي في المكسيك آخر رسالة أرسلوها "أنقذونا إنهم قادمون"!. . من سقط منهم أسيرا لدى الجيش الأمريكي والمخابرات المركزية لم تسنح له الفرصة للهرب ليوضح الأمر، إلى أن مات بحوزة المخابرات المركزية الأمريكية، وقد كان الوحيد الذي نجا من الارتطام، أغلب الظن أن العطل الذي أصاب سفينتهم وسقوطهم السريع أصابهم بارتباك بالغ من حسن حظكم فلم ينقلوا لهم حقيقة ما حدث، ولم يكونوا بالمناسبة أول من جاء يحمل شرا وأعتقد أنهم لن يكونوا الأخيرين . .

-وماذا عنكم؟!

سألته في شك، فالمجنون فقط في هذا الزمان من يمتلك القوة والقدرة على

obeikan.com

البطش ولا يستغل ذلك أسوأ استغلال . .

-نحن لسنا مثلهم على الإطـلاق يـا هـاني، فـرق شاسع بين مـن يبحث عن سلام ومن يسعى إلى الحرب، جئنا نحمل الخير، لقد هبطت وزملائي فقط لنعد التقارير اللازمة عن الأرض ونرسلها لموطني، عادات السكان، توزيعهم، لغاتهم. . وهكذا . .

-جواسيس يحملون الخير، يحملون الخير للعالم وليس لمصر فقط!

قاطعته في سخرية، فقد أصبح لدينا – كمصريين - حساسية مزمنة من كل من يرفع شعار "نحمل الخير لـ(. . .)، ولتضع أي شيء بين القوسين، هم جواسيس إن أردنا الحقيقة عارية دون أي شيء يستر عورتها، فهذا هو التوصيف الوحيد لحالته الفريدة، متهم بالتخابر مع كواكب أجنبية! . . ما عقوبة ذلك في القانون المصري! . . كيف سيحاكم أمام القضاء المصري الشامخ وبأي تهمة إن تمكنت الشرطة من إلقاء القبض عليه ثانية!

-جواسيس إن أردت ذلك يا هاني، ولكنهم جواسيس يتميزون بالنوايا الحسنة، أتينا لنعد هذا التقارير ونرسلها إلى موطني إلى أن يجيء الوقت المناسب وساعتها سوف يأتي وفد رسمي لمقابلة حكومات الأرض ليقدموا لهم عرضا بأن نحيا بينكم في سلام متبادل . .

-متى ؟!

سأله مجدي هاشم، فأجابه في سرعة وقد فهم ما وراء سؤاله . .

-من أين لي أن أعلم، سوف أعرف بقدومهم معكم في نفس الوقت من نشرات

Openkan.com

الأخبار، فكما قلت لك أنا لا استقبل منهم أي رسائل..

-ولم تريدون أن تعيشوا بيننا؟! . . أعرف شعبا جاء زاعما العيش بيننا في سلام حتى جرت دماؤنا على الأرض أنهارا من جراء سلامهم المزعوم!

سألته في شك، فعلّق مجدي هاشم ساخرا من قولي . .

-تراني تأثرت، لحظة أبكي . .

قالها مجدي هاشم ساخرا مني وأنفجر في الضحك الذي كادت أن تنقطع بسببه أنفاسه ثم تمالك نفسه متابعا في سخرية غير مهتم باستيائي . .

-هاني يا رشاد بعيدا عن مشاعره المرهفة وحماسته الوطنية المفرطة يقصد القول بأنه من الذي يضمن ألا يكون حينها "البقاء للأقوى"؟!

صمت رشاد البسيوني لبرهة، ثم أجاب في تأثر لا اصطناع فيه. .

-بداية ليس لنا نفس مخططات الصهاينة يا هاني، هؤلاء قوم وصل تدنيهم الأخلاقي لمرتبة الحيوان، بل من الحيوانات من هو أرقى منهم خلقا، بالنسبة إلينا ليس للأمرعلى الإطلاق علاقة بمخططات استعمارية أو رغبة في إلحاق ضرر بأحد . . بل يمكن القول بأننا مرغمين على الرحيل من كوكبنا قريبا والبحث عن كوكب آخر صالح للحياة نحيا فيه سويا جنبا إلى جنب مع أهله الأصليين.

-وما الذي يدفعكم إلى ذلك من الأساس؟! . . هل اختفى من لديكم البترول أم تلاشت الرقعة الزراعية نتيجة للتوسع العمراني؟

سألته في تعجب لا سخرية فيه، فإذا بمجدي هاشم يشيح بيديه في الهواء دلالة على استياءه من محتوى أسئلتي قائلا . .

-الله يخرب بيت التعليم المجاني يا شيخ، ويخرب بيت مناهج الجغرافيا التي شكلت كل مصادر معلوماتك.

-أنا محتاج أن أفهم يا دكتور مجدي، أم تريدني أن أجلس معكم مثل كيس الجوافة؟!!!!

قلتها في برود وقد أغضبني مجدي هاشم بتعمّده التقليل من شأني أمام رشاد البسيوني كل مرة أتحدث فيها بمناسبة وبدون مناسبة، فتدخل رشاد البسيوني في ود ملطفا الأجواء قائلا . .

- بالطبع هذا من حقك يا هاني . . ليس للأمر على الإطلاق أي علاقة بالبترول الذي لم نعد نستخدمه بالمناسبة ولا بتلاشي الرقعة الزراعية، المشكلة أن ما سأقوله سيفهمه دكتور مجدي بشكل أفضل ولكني سأحاول تبسيطه لك، فالأمر ببساطة أن النجم الذي يدور كوكبنا في فلكه بدأت حرارته في الأزدياد تدريجيا، رصدنا ذلك منذ زمن طويل، وليس للأمر علاقة باحتباس حراري أو ما شابه، ذلك يعني ببساطة – ثم وجّه حديثه لمجدي هاشم - أن الاندماجات النووية أوشكت على الإنتهاء، ذرات الهيدروجين التي يتكون منها النجم تكاد تتحول جميعها إلى الهيليوم، وهذا يعني بأن النجم سوف يأخذ في الانكماش بتأثير جاذبيته فتتقارب أكثر ذرات الهيدروجين فتبدأ الإندماجات تحدث بشكل أكثر عنفا خارج نواة النجم ليتحول النجم لعملاق أحمر . .

سكت رشاد البسيوني برهة مفكرا في شيء ما ثم تحدث إلى قائلا . .

-أريدك يا هاني أن تحاول أن تتذكّر التقارير التي نشرتها المواقع الأخبارية منذ سنوات قليلة بأنه عندما حدثت انفجارات عنيفة نسبيا في الشمس ونتج عنها ما يعرف بالعواصف الشمسية وما توقعوه من أثر بالغ الشدة على الأرض من انقطاع للكهرباء والاتصالات اللاسلكية وتعطل الأقمار الصناعية، فما بالك لو ارتفعت حرارة الشمس التي تصل الأرض لأضعاف درجاتها الحالية وليس مجرد عاصفة شمسية عابرة كل ١١ سنة؟! . . هذا سيحدث لنا في موطني وقد بدأ العد التنازلي بالفعل.

-وماذا سيحدث بعد ذلك لكم ؟!

قلتها في تأثر حقيقي وأنا أتخيل سكان كوكب كامل يتم شوائهم أحياء، يتحول الكوكب بأكمله لفرن من أفران النازي من الحجم العائلي لا مهرب منه ولا مفر ولا أمنيات بسقوط النازي علي يد دول الحلفاء، فأجابني رشاد البسيوني بتأثر مماثل. .

- عندما سيقل معدل الإنفجارات النووية في مراحل متقدمة ستزداد جاذبية النجم نتيجة لانكماشه وزيادة كتلته، حينها سيبتلع الكواكب القريبة منه ومنها موطني قبل أن يتحول النجم لقزم أبيض صغير مهمل في مكان ما من الكون، ساعتها لن نكون موجودين بعد أن أحرقتنا حرارة النجم قبل ذلك بآلاف السنين، درجة حرارة كوكبنا ترتفع باستمرار يا هاني وقد رصدنا ذلك، اليوم يمكننا الحياة على أرضه، في المستقبل البعيد سيكون ذلك مستحيلا.

-كتلة نجمكم ليست كبيرة إذا!

قاطعه مجدي هاشم مقطبا جبينه غير مبالٍ بحالة الحزن التي تسيطر على رشاد البسيوني . .

-لا تزيد كثيرا عن ضعفي كتلة شمسكم.

قالها رشاد البسيوني دون أن تتبدل نبرة صوته الحزينة، فاعترضت حديثهما الذي لم أفهم منه الكثير رغم محاولات رشاد البسيوني تبسيط الأمور، فسألته قائلا في توجس . .

-صدقني أنا لا أفهم شيئا مما تقول، ولكني أريد أن أعرف ما الذي يضمن سلاما وقت قدومكم!

-نحن يا هاني كوكب مسالم تماما كما قلت لك، تعلمنا ضريبة الحروب منذ قديم الأزل، ذكاء قومي أرشدهم إلى أن السبيل إلى بقائهم وتقدمهم وتطورهم يكمن في إلتزامهم بالسلام فيما بينهم، كوكبنا أصبح منذ آلاف السنين موحدا تحت قيادة ديموقراطية واحدة، خدمتنا طبيعة الكوكب الذي يتكون من قارة واحدة لم تجزئه الطبيعة لقارات عدة مثلكم، نعبد الله الإله الواحد الذي تعبدونه، نتحدث لغة واحدة وهي ليست العربية مثلما تعتقد، كل تلك المعطيات وفي تلك البيئة أصبح الاهتمام الأكبر بالعلم الذي يخدم الحياة لا الموت، ولذا تطورنا ووصلنا إلى أرضكم وأرض غيركم. .

-لا أعتقد أن قدومكم إلينا سوف يكون مرحبا به!

obeikan.com

قلتها في شك، هذا الرجل لا يعرف طبائع البشر على الأرض مهما طالت فترة تواجده بيننا !

-نحن وفقا لما رأينا على هذا الكوكب لن نأخذ منكم أي شيء قد تحتاجون إليه، سوف نستصلح هذه الصحاري الجرداء، سوف نستغل المحيطات، لن نلحق ضررا بهذه الأرض مثلما لم نفعل مسبقا بموطني، سوف نجعل تلك الأرض جنة من جنات الله، غيرنا قد جاءوا منذ قديم الأزل وعاشوا بينكم في سلام ولم يؤذوا أحدا إلى أن غرقت أرضهم بفعل الطبيعة. .

-غيركم؟!

قاطعه مجدي هاشم سائلا في دهشة . .

-نعم غيرنا ممن جاءوا وسكنوا أطلانطس، تلك القارة التي غرقت في المحيط الأطلنطي، أو على وجه التحديد قارتهم الصناعية التي غرقت بهم في المحيط الأطلنطي بعد سنين طوال قضوها على الأرض في سلام.

-عدنا للخرافات مرة ثانية والحمد لله!

اعترضت في غضب على هذه الحكايات التي يحكيها من وحي خياله الخصب دون أن يجد من يرده!

-هل لديك دليل؟!

سأله مجدي هاشم في اهتمام !

-ليس معي الآن دليلٌ ماديٌ أو تفاصيل مفيدة، ولكن زميلي كان قد أرسل تقريرا

obeikan.com

مفصلا لموطني من قبل عن بقايا حضارتهم التي توصل إليها.

سجل مجدي هاشم ملاحظة أخرى، فسألت رشاد البسيوني وقد نفد صبري من مجدي هاشم اللعين الذي يقابل خرافات رشاد البسيوني باهتمام بالغ . .!

-سوف أصدق كل ما قلته رغما عني، ولكنك قلت بأنكم أول الهابطين إلى الأرض فعليا، ضمن الزيارة الثانية، فكيف اندمج رفاقك وسط البشر وكيف أصبحت أنت رشاد البسيوني الذي يجلس أمامنا!

-زملائي هبطوا في أماكن تلتهب بأجواء الحرب العالمية الثانية في وقت لم يكن العالم ليهتم بأمر ثلاثة يدّعون بأنهم هاربون من ويلات الحرب ووطنهم الأصلي أي دولة أخرى مجهولة اللغة، أما أنا فكان هبوطي بصحراء مصر الغربية، بالقرب من سيوة، الحياة على كوكبكم تلائمنا تماما، وإن كانت نسبة الأكسوجين ضئيلة نسبيا مقارنة بكوكبنا، لاحظنا أن دماءنا على الأرض تميل نسبيا إلى الزرقة لهذا السبب، اعتبرني البدو حينها أحد الجنود الفارين من جحيم الحرب رافضا لها وباحثا عن سلام لا تلوثه دماء الأبرياء – قالها ورمق مجدي هاشم بنظرة لائمة – اعتقدوا في البداية أنني من الألمان أو الإنجليز بسبب عدم فهمهم للغتي . . مكثت معهم سنوات قليلة تعلمت خلالها العربية وأعلنت أمامهم إسلامي كي يعتبروني واحدا منهم، فجميع سكان الأرض يتمتعون بعنصرية بالغة ضد أي شخص مختلف عنهم في اللون أو الجنس أو العقيدة . .

-من أول حديثك وأنت لا تكف عن انتقادنا !

قاطعته في ضيق . . هذا الرجل الذي لا يعجبه حال كوكب ينتوي وقومه اللجوء

إليه مثلما يدعي، فرد عليّ قائلا في استياء . .

-دعنا من كل سكان الأرض . . لنتحدث مثلا عن مصر ؟! . . ما رأيك ؟!

لم أبد تعليقا فتابع . .

-أخبرك أنا عن مصر التي عشت بها أكثر من نصف قرن من الزمان يا هاني . . أنتم كشعب واحد في دولة واحدة يضطهد الرجال فيها النساء . . يضطهد الغني فيها الفقير . . تمارسون في الوجه البحري الاضطهاد ضد أبناء الصعيد . . يمارس أبناء المدينة الاضطهاد ضد أبناء الريف . . يمارس المسلمون الاضطهاد ضد المسيحيين . . ولو تبدل الأمر وأصبح المسيحيون هم الأغلبية لفعلوا المثل . . عليك أن تسعى لأن تكون دائما ضمن الأغلبية قدر الإمكان إن كنت ترجو ألا تقع تحت اضطهاد الأغلبية بدافع عنصريتهم . . أدركت ذلك من البداية فسعيت قدر جهدي أن أكون ضمن الأغلبية دون أن أتلوث بمساوئهم.

كل ما يقوله هذا الغريب - للأسف الشديد - صحيح مائة في المائة، شعرت حينها بالخجل كوني واحد من سكان هذا الكوكب وأدركت أنه من الغباء أن أتصدى لدور المحامي العام عن سكان هذا الكوكب المخجل، فلا يمكنني الاعتراض على حرف واحد مما قاله بل أجد نفسي أتفق معه تماما، فسألته وقد حاولت أن أعيده للموضوع الأصلي . .

-دعنا من سكان الأرض الآن، أنت لم تخبرني كيف أصبحت رشاد البسيوني؟!

-عندما أخبرتهم برغبتي في إسلامي رحبوا بالأمر بشدة، فأخذني أحدهم إلى الأزهر وتغير اسمي لرشاد محمد رشدي البسيوني، أخبرتهم أن هويتي الأجنبية

قد ضاعت، فتم الأمر بسهولة، وهكذا بدأت التنقل بين محافظات مصر ثم تكفلت الرشوة بحصولي كل بضعة سنوات على بطاقة شخصية باسمي وشهادة ميلاد وأوراق رسمية مزورة قبل أن تعرف التكنولوجيا الحديثة طريقها لأجهزة الداخلية، بعدها لم أتمكن من تغيير هويتي غير مرة واحدة لاستخراج بطاقة الرقم القومي، أنا لا أكبر كثيرا في العمر من حيث الشكل، فعمري قد تجاوز الآن الثلاثمائة عام بسنوات الأرض وأبدو في الثلاثين بمقياسكم!

اتسعت حدقتا عيني ذهولا في حين لم يبد مجدي هاشم أي اندهاش حين ذكر رشاد البسيوني عمره الحقيقي!

-منذ سنوات وأنا أعيش بدون هوية محددة، في مصر إن استغنيت عن حقوقك لدى الدولة فلن تهتم الدولة بحقوقها لديك، ستعتبرك صفرا لا قيمة ولا وجود له، وهذا ما كنت أحتاجه!

-والمال ؟!

سأله مجدي هاشم في ارتياب . .

-لا أحتاج الكثير، فطعامي كما تعلم بعض الخضر والسكر، وما أحتاج المال إلا لتغطية المسكن والانتقالات وتلك المبالغ الضئيلة يمكنني تدبر أمرها بعدة وسائل.

-مشروعة؟!

-ليس دائما!

* * *

openkan.com

- لدي سؤال أخير يا استاذ رشاد . .

سألته وقد اكتشفت حينها أنني بالفعل قد بدأت التعامل معه على أنه قادم بالفعل إلى الأرض من كوكبه البعيد، أشار لي في تأدب أن أفصح عن سؤالي . .

- من أين لك كل هذا العلم في الدين والعلوم وكل شيء!

- لا أريد أن أخبرك أن قدراتي العقلية وكل شعبي تفوق قليلا بني آدم على الآرض، ذلك درب من الغرور والتعالي لا أفضله حتى وإن كان حقيقة، ولكن أيضا كي لا أثير استفزازك، فلتعتبر أننا نستغل عقولنا بمعدل أكبر كثيرا من بني آدم وذاكرتنا بحالة ممتازة في حال مقارنتها بذاكرة بني آدم التي لا يتعدى تقييمها المقبول مقارنة بنا، هذا ليس نوعا من الغرور أقسم لك، ولكنها الحقيقة التي قد تثير استياءك، وهو ما تحدثت به بعض أبحاثكم على الأرض بأن الإنسان لا يستطيع أن يستخدم سوي خمس مقدار قدراته العقلية . . يمكنني أن أحفظ وأن أفهم كما هائلا من المعلومات في وقت قصير، لديكم على الأرض علماء استطاعوا استغلال عقولهم بنسب كبيرة ولكنها لا تقترب منا، وهنا على الارض من هم قد وهبوا ملكة الحفظ ولكنها لا تقترب مما وهبنا إياه.

- تذكرت شيئا، فقد أخبرني أحد مصادري أن تحرياتهم في الشرطة تحدثت عن ارتدائك ملابس صيفية شتاءً وصيفا وليلا ونهارا، وأعذرني حين أخبرك أن البعض يتحدث عن إخصائك حين كنت صغيرا! . . ولكن بعد ما قلته أنت لابد أن لديك تفسيرا لهذا الأمر!

تبسم مجدي هاشم في خبث، وأجابني رشاد البسيوني باسما في ود . .

- سمعت ذات مرة هذه الادعاءات، ولكن الأمر ليس كما يزعمون، الأمر أننا نتحمل اختلاف درجات الحرارة زادت أو انخفضت، تلك طبيعة أجسادنا وليس ذلك بشيء غريب، السائحون القادمون إلى مصر في منتصف الشتاء ويتخففون من ملابسهم ليعرّضوا أنفسهم مرغمين لتحرشات البعض والعبث بأجسادهم ما ظهر منها وما بطن لا يمكن الزعم أنهم قد تم إخصائهم رجالا كانوا أو نساءا! . . هم اعتادوا فقط درجات الحرارة شديدة الانخفاض والتي تقترب من الصفر في بلادهم، فيصبح الطقس حارا حتى وإن انخفضت الحرارة في مصر لعشر درجات . . اختلاف هو فقط في نسبية الإحساس بالحرارة والبرودة.

- هل لديك أي أسئلة أخرى يا هاني يا رمزي تحتاج لمعرفة إجاباتها؟ !

قالها مجدي هاشم في برود ففهمت أن الجزء القادم من الحديث سيديره بنفسه، وكنت ساعتها بالفعل لا أمتلك أي أسئلة أخرى، ولكن فجأة خطر على بالي سؤال أخير . .

-نعم لدي سؤال أخير، أستاذ رشاد تقول أنكم لا تتحدثون العربية، فهل لك رجاءً أن تخبرني ما هو اسمي في لغتكم !؟

اندفعت في سؤالي بسذاجة طفولية، فاتسعت ابتسامة رشاد البسيوني قائلا . .

-اسمك بالطبع في لغتنا سيكون . . هاني رمزي أيضا!

شعرت بالإحراج والخجل حينها لهذا الاندفاع الصبياني الذي لا يليق برجاحة عقل واتزان صحفي كبير مثلي، ولا يليق أيضا بهيبة ورهبة الموقف، وهو ما دفع مجدي هاشم لأن يسلخني حيا بنظراته قائلا . .

-أعتقد أن هاني لم يعد لديه أسئلة تفيده، والدور الآن لي، وسوف أدخل في صلب الموضوع مباشرة، ولكن أريد أن أسألك في البداية . . لماذا أنا بالذات ؟!

-لا أفهم سؤالك صدقتي !

-لم ساعدتني أنا بالذات منذ عقود، وكيف توصلت إلى الآن ؟!

-كان الأمر صدفة منذ سنين، بل أقول الآن لنفسي أنه كان من ترتيبات القدر، كنت أجلس على هذا المقهى حين سمعت محادثتك أنت وزميلك حول بحثك، كنت أنت أيامها شخصا آخر تماما غير الذي أراه الآن أمامي في الحقيقة، ذلك الشاب الريفي المجتهد رث الثياب رخيصها ولكن أنيقها والذي يسعى قدر جهده من أجل إفادة البشرية عن طريق إخلاصه للعلم، فلم أستطع منع نفسي عن مساعدتك وبخاصة أنها لن تكلفني شيئا . . كان الأمر كصدقة أتصدق بها وأنصرف قبل أن تعلم يميني ما أنفقت شمالي، الخطأ الوحيد الذي ارتكبته يومها هو ذلك الوعد بأن أخبرك بكل ما تريد أن تعرفه إن شاء الله لنا لقاء مرة ثانية، عندما حدث ذلك بالفعل علمت أنها رسالة من الله لغاية لا يعلمها إلا هو، وأن وعدي لك يومها لم يكن محض مصادفة!

-وكيف توصلت إليّ بعد كل هذه السنوات!؟

-كنت من وقت لآخر أجيء حتى قسمك في الكلية وأتراجع عن الدخول في اللحظات الأخيرة، كنت أحضر وفي نيتي أن أطلب منك بعض الأموال بحجة أنها مكافأة على مساعدتي لك، ولكن كنت أتراجع في اللحظات الأخيرة حين أفكر فيما يمكن أن يحدث لي من ضرر منك!

-حتى تم القبض عليك وأرسلت إلى هاني!

-هل أرسلتك يا هاني؟!

سألني رشاد البسيوني وقد رسم البراءة على وجهه بعناية!

-ليس بالضبط يا دكتور مجدي . .

قلتها وقد أعجبتني بشدة تلك الحيرة التي بدت على وجه مجدي هاشم اللعين، فتابعت في لهجة أقرب إلى الاستهزاء به . .

-أنا لم أكن أعرف رشاد البسيوني أو أعرفك قبل هذا الليلة التي زرته فيها في قسم الشرطة حتى أتى لي ليلتها في المنام وأخبرني أن أطلب مساعدتك لإنقاذه.

بدا عدم التصديق على وجه مجدي هاشم، فأشاح بوجهه في استخفاف بقولي، فأكمل رشاد البسيوني . .

-هذا ما حدث بالفعل يا دكتور مجدي، قابلني هاني في قسم الشرطة محاولا الحصول على معلومات أكثر مني لنشرها في جريدته، كل ما كنت أحتاجه هو مصافحته فقط من أجل التليباثي.

-التخاطر!

قالها مجدي هاشم في دهشة وقد عقد حاجبيه في عدم تصديق، فهز رشاد البسيوني رأسه أن نعم مكملا . .

-التخاطر لدينا أمر شبه عادي، ولكن يبدو أنه يتم بيننا وبينكم إن كان المرسل

في وضع خطر، والمستقبل في وضع استرخاء ولكن بشرط أن يكون قد حدث سبق اتصال جسدي بينهما . .

-استغفر الله العظيم، ما هذا الذي تقوله يا أستاذ رشاد؟!؟!، ما تقوله على أرضنا عيب وحرام وتهتز له سبع سماوات . .

قلتها معترضا حديثه دفاعا عن نفسي من تلك الاتهامات الخبيثة والشاذة المثيرة للازدراء وقد لاحظت بعد اعتراضي أن مجدي هاشم كان بالفعل قد فهم بعقله القذر أن الاتصال الجسدي بمعناه الجنسي وليس المصافحة!

-تخاطر!

قالها مجدي هاشم ناظرا إلى السقف مفكرا في الكلمة، فتابع رشاد البسيوني . .

- لا يمكنك أن تنكر أن هناك وقائع مشابهة كثيرة تم فيها التخاطر عبر تاريخكم حتى يومنا هذا بين بني البشر أنفسهم، ليس في الأمر ما يثير التعجب! . . تذكرتك حينها وراهنت على أنك لازلت تتذكرني، وراهنت على فضولك العلمي النهم، وراهنت على فضول هاني الصحفي من جهة أخرى، وقد كسبت الرهان في كلتا الحالتين، تلك كانت فرصتي الأخيرة.

- حسنا، لندخل إلى الأهم، كيف وصلت من موطنك البعيد إلى هنا ؟! . . ولا تخبرني من فضلك عن الثقوب السوداء!

كان مجدي هاشم ينتقل من موضوع لآخر بسرعة دون إغراق في التفاصيل وكأنه يرسم في عقله وعلى الأوراق خطوطا رئيسية عريضة يعود إليها لاحقا، كمن يتذوق كل صنف في عجالة على مائدة طعام في مطعم ما ليتأكد أولا من جودة

obeikan.com

المنتج، حينها ينقض على كل صنف بمفرده.

-ولم لا أتحدث عن الثقوب السوداء!

قاطعه رشاد البسيوني متعجبا في براءة ظاهرية . .

-لأنه من المستحيل فعليا . .

-نظريا . .

قاطعه رشاد البسيوني ثانية ثم تابع . .

-تتفق معي بأن كل ما لم يجرب عمليا هو نظرية ليس إلا، وليس كل ما تم تجربته جزئيا ينطبق على الكل!

-تقصد مبدأ عدم اليقين ؟!

-ولتضم معها نظرية عدم الاكتمال، حتى الآن ببساطة وبغير تعقيد لا يمكن تطبيق النسبية الخاصة على الأجسام الميكروسكوبية المتحركة بسرعات صغيرة جدا مقارنة بسرعة الضوء ويمكن استخدام ميكانيكا الكم للتعبير عن الأمر، ولا يمكن تطبيق ميكانيكا الكم على الاجسام الماكروسكوبية التي تتحرك بسرعة تقترب من سرعة الضوء، في حين تصلح النسبية الخاصة للتعبير عنها!

-اعذروا جهلي، أنا لا أفهم !

اعترضت نقاشهم العلمي في تأدب ولكن مجدي هاشم رمقني بنظرة ألجمتني، فقال رشاد البسيوني موجها حديثه إلي . .

-الأمر ببساطة يا هاني، هو أن القوانين التي تثبت صحتها جزئيا لا يمكن

obeikan.com

تطبيقها في كل الأوقات، فأحيانا تصلح قوانين نيوتن لتوصيف أمر ما، وأحيانا نستخدم ميكانيكا الكم، وأحيانا النسبية الخاصة – ثم التفت إلى مجدي هاشم موجها حديثه إليه – ما أقصده يا دكتور مجدي هو أن الفرصة لم تسنح بعد للبشر للسفر خلال ثقب أسود من مليارات الثقوب السوداء المتناثرة في الكون، والواقع يقول أن أغلب ما كان مستحيلا بالنسبة إليكم في الماضي قد أصبح اليوم حقيقة مؤكدة مجربة ثابتة اليقين، لم يكن الإنسان يتصور يوما أنه يمكنه الطيران، واليوم أطنان من المعادن الثقيلة تحلق في السماء في كل ثانية، كان الهبوط على سطح القمر فقط بين سطور روايات الخيال العلمي، اليوم تخططون للهبوط على سطح المريخ لتزرعوا الخس!، لم يكن أحد يتخيل أن يكون هناك ما هو أسرع من الصوت، اليوم تقترب بعض الطائرات من الوصول لأضعاف سرعة الصوت!

-ماذا تعني!

تساءلت في غباء حقيقي وأنا لا أفهم حرفا مما يقولون!

-أعني أنه عندما يتمكن الإنسان يوما ما من عبور ثقب أسود، ساعتها سيكتشف القوانين التي تحكم هذا الأمر.

-وما هو هذا الثقب الأسود من الأساس!؟

تساءلت في رجاء محاولا الفهم . .

-ليست هذه حصة العلوم يا أستاذ.

قالها مجدي هاشم في تكبر وكأنه يحدث أحد تلامذته! . . ابتسم رشاد البسيوني

openkan.com

في ود قائلا لمجدي هاشم . .

-ما دمت قد دعوته بنفسك فواجب علينا أن نفهمه، ولن نحتاج لأكثر من دقيقة، النجوم التي تزيد كتلتها عن ٢٥ ضعف كتلة الشمس يا هاني حين تصل إلى ما تعرفونه على الأرض باسم حد تشاندرا سيخار أو النقطة التي يموت عندها النجم تبدأ طبقته الداخلية أو قل نواته في الانضغاط بفعل جاذبيتها نتيجة القوة العكسية للانفجار، مثل أن تطلق رصاصة من بندقية فتندفع أنت على أثرها للخلف، جميع النقط على سطح النجم أيضا تندفع للخلف الذي هو مركز النجم بفعل الجاذبية، هذه القوة تضغط النجم وتجعله صغيرا جدا وذا جاذبية قوية للغاية وتزداد هنا كثافة النجم نتيجة تداخل جسيمات ذراته وانعدام الفراغ البيني بين الجزيئات، الأمر أشبه بأن تضغط الكرة الأرضية من كل الاتجاهات لتجعلها في حجم كرة تنس الطاولة! . . أنت هنا تضغط حيزا مكانيا وفي نفس الوقت تضغط الحيز الزماني فيختصرهما معا، الأمر يشبه كثيرا السفر ما بين فلسطين وليبيا . . أنت في حاجة لأن تمر على مصر، ولكن في حال انكمشت مصر بأكملها لتصبح في حجم حبة الترمس فأنت ها هنا قد قلصت الحيز المكاني والزماني الذي يفصل بين فلسطين وليبيا فتختصر المسافة وتختصر الوقت، وكأنك رسمت الكرة الأرضية على ورقة وحولتها من أبعادها الثلاثية لأبعاد ثنائية فقط وثنيت الورقة من عند منتصف مصر لتصبح فلسطين بجوار ليبيا.

في هذه النقطة الأخيرة نقل حديثه إلى مجدي هاشم ثم تابع . .

-أنت إن كنت تراقبني وأنا أدخل الثقب الأسود ستعتقد أنني هلكت بفعل

جاذبيته الخارقة أو بسبب أفق الحدث، ولكن الأمر بالنسبة إلى نسبي تماما، فمعدلات التسارع المتزايدة التي أقع تحت تأثيرها بفعل جاذبية الثقب الأسود كلما اقتربتُ أكثر لن تجعلني أشعر بفارق، فالزمن نسبي كما تعلم، ومن منظور فلسفي، فالأمر أشبه بكونك في قاعة محكمة يا هاني، - نقل حديثه إلىّ - فاللحظات السعيدة التي تمر عليك في انتظار حكم ينصفك تمر سريعا جدا وتمر بطيئة للغاية على شخص حزين سيقع عليه العقاب أو قل الجاني وتمر بسرعتها العادية على شخص ثالث لا يفرق معه الأمر مثل القاضي. هو نفس الوقت بالثانية، ولكنه نسبي يعتمد على الشخص، سوف تنزلق إلى الثقب الأسود بمعدل تسارع تدريجي، وما دام كل شيء له بداية فلابد أن له نهاية، وسرعة الإنزلاق بفعل جاذبية الثقب الأسود سوف تكون هي ذاتها سرعة الإفلات من جاذبيته إن أضفت إليها قوة دفع بسيطة للغاية، وحين تخرج من الطرف الآخر بسرعة هائلة في فراغ الكون سوف تظل سرعتك هي ذاتها بلا تغيير مثلما تنص قوانين نيوتن للحركة، حتى تُحدِث أنت التباطؤ، ساعتها تكون قد أحدثت اختصارا هائلا للزمكان . .

توقف رشاد البسيوني لبرهة كي يتأكد من أن مجدي هاشم يتفهم ما يقوله ثم تابع . .

-أما انهيار كتلة الأجسام ووصولها إلى مالا نهاية إن وصلت سرعتك لسرعة الضوء وفقا لنسبية أينشتاين، فيمكنك إثبات فشل النظرية إن استوعبت طريقة التسارع التدريجي في سرعتك تحت تأثير جاذبية الثقب الأسود، إن انتقلت من السكون مرة واحدة لتسير بسرعة توازي سرعة الصوت فذلك سوف يقضي عليك

ولن يتحمله جسدك، ولكن بالفعل يمكنك الآن تجاوز سرعة الصوت بإحداث تسارع تدريجي دون أن يلحق بك أي أذى، ولتضع في اعتبارك أن الفوتونات لها بالفعل طبيعة جسيمية وكتلتها لا تصل إلى ما لانهاية.

نظر إليه مجدي هاشم مليا محاولا استيعاب كلماته، ثم قال في انتصار مشككا في كلمات رشاد البسيوني في زهو . .

-سأعتبر كلامك صحيحا، وإن بدا كذلك بالفعل كنظرية، ولكنك تحتاج لمئات السنين الضوئية للوصول أولا إلى الثقب الأسود خارج مجموعتكم النجمية.

-أحترم بشدة ذكاءك، أنت الآن تتحدث عن الشق الأول من الرحلة، وهو ما كدتم أن تحققوه على الأرض بالفعل داخل معامل ناسا، يحدث ذلك عن طريق إحداث إلتواءات في الفضاء بخلق فقاعات إعوجاجية تسير داخلها المركبة، تضغط الزمكان من أمامها وتوسع المجال من خلفها فتنزلق في دوامات زمكانية متصلة تختصر الزمان والمكان معا.

-ناسا تعمل على شيء كهذا ؟!

-نعم، مشروع Eagleworks .

دوَّن مجدي هاشم الاسم، ثم ألتفت إلى قائلا في برود . .

-شكرا لك أنت يا هاني، أعتقد أنك قد حصلت على معلومات تصلح كسبق صحفي رائع كما وعدتك، أو أنصحك بنشرها كرواية خيال علمي تجعلك الكاتب الأشهر في مصر.

تركت القلم وكففت عن تدوين ما قاله رشاد البسيوني ونظرت إلي مجدي هاشم محملقا في عدم فهم، فتابع . .

-أعني أن دورك انتهى الآن بعدما قدمت لك جميلا لن تنساه لي طوال عمرك.

ثم نهض من مكانه ونظر إلى رشاد البسيوني قائلا . .

-نستأذنك نحن يا رشاد . . سأوصل هاني إلى الخارج وأعود إليك سريعا.

-ألن أراه مرة ثانية؟!

سألته في حزن حقيقي، وقد بدأت أميل إلى التعاطف مع رشاد البسيوني أو أيا كان هذا الغريب، فهزَّ مجدي هاشم اللعين رأسه أن لا . . هذا رجل تنقصه المشاعر الإنسانية!

-اسمح لي يا دكتور مجدي بوداعه. .

قالها رشاد البسيوني في ود ونهض مادا يده إلى مصافحا، فتلقفتها ثم استغرقنا في عناق ودود بريء طويل، تجمعت خلاله دمعة عملاقة في عيني رغما عني، فتنحنح مجدي هاشم في برود قائلا . .

-ماذا يا عم هاني؟ . . أين العيب والحرام والذي تهتز له سبع سماوات !

ثم وضع ذراعه على كتفى مشيرا بيده الأخرى إلى باب الخروج، فلممت أوراقي وتقدمته إلى الردهة وعندما خرجنا أغلق الباب خلفه، فسألته في اندهاش وضيق . .

-لم لا أكمل معكم ؟!

-لا يا هاني، لن تستفيد شيئا صدقني، الجزء القادم سأتكفل فيه باعتصاره علميا ليستغرق في كتابة معادلات ومعلومات علمية بحتة لن تفهم منها شيئا، أحد الرجال سيوصلك إلى حيث أخذتك ويسلمك حينها هاتفك المحمول.

-وماذا ستفعل معه ؟!

سألته في تأثر وأنا أشتم رائحة الغدر من هذا اللعين . .

-لنتحدث بصراحة يا هاني، لقد انتهى أمره بالفعل من لحظة القبض عليه، لن تتركه الشرطة هاربا لفترة طويلة، ولن يمكنه الهرب خارج البلاد بدون أوراق تثبت هويته، وخياره الوحيد أن يذهب إلى سيناء حيث يمكن أن يحصل على فرصة للحياة وسط الجماعات الجهادية هناك، ولن تمر سنوات طويلة حتى تستقر البلاد ويتم تصفيتهم بالكامل! . . أنا أفكر في الخيار الأخير أو في منحه تكريما يليق به بعد أن أستخلص منه علما يفيد البشرية بأسرها.

-وهل هذا جزاؤه؟! . . ألا تخاف أن أشي بك ؟!

ضحك مجدي هاشم ضحكة ساخرة قصيرة، ثم قطب جبينه وعقد حاجبيه في صرامة قائلا في لا مبالاة مفصحا عن وجهه القبيح . .

-أفعل ما يحلو لك، بداية لن يصدق أحد في الكون بأسره غير المخابيل أن ما ستنشره حقيقة وليس محض هراء، ثانيا لن تصدق الشرطة حرفا عن أي اتهامات ستتهمني بها، الأستاذ الدكتور مجدي هاشم العالم الكبير الذي يعرف القاصي والداني مكانته العلمية وأنه كان قاب قوسين أو أدني من الحصول على نوبل لا علاقة له من قريب أو من بعيد بهذا الإرهابي الفار الذي ليس له أي

ذكر في سجلات رسمية في أرشيفات الأمن، لم تلق قوات الأمن القبض على هذا الإرهابي من الأساس كما كذّبوا الخبر، ولذا لم يتم تهريبه، بل قد تنشر الداخلية تكذيبا ويحرك النائب العام ضدك قضية تتهمك بنشر أخبار كاذبة من شأنها تكدير السلم العام! . . استمتع بوقتك يا هاني وبهديتي . . .

أنهى كلامه المتغطرس وصاح مناديا على أحد الرجال الملثمين الذي أسرع بالدخول إلينا ليعيدني من حيث جئت . .

أريد أن أبصق على وجه هذا الرجل اللعين لولا الخوف من عاقبه هذا الأمر!

-عندي سؤال أخير لك . .

أشار بيده أن أسرع، فسألته . .

-لم اختفيت يوما كاملا بعد تهريب رشاد البسيوني وقد رأيتُ اليوم أنها المرة الأولى التي تقابله فيها منذ آخر مرة في الماضي؟!

-أنت لمَّاح، لا أخفي عليك أنني مؤمن بأن وراءه أمرا غير تقليدي، وقد اعتقدت في البداية أنه قادم من المستقبل وعلق بحاضرنا! . . وكنت حينها طوال اليوم أقتل الإنترنت بحثا عن كل ما كتب بهذا الشأن حتى وإن كانت خرافات أو ادعاءات من الباحثين عن الشهرة، ولكنني فوجئت مثلك بما قاله !

جاء ملثم مع كلمات مجدي هاشم الأخيرة فأشار إلى بأن الحديث قد انتهى، فذهبت دون كلمة إضافية مع الملثم بعدما أدركت عدم جدوى النقاش مع مجدي هاشم اللعين.

obeikan.com

أكتشفت اليوم أيضا أن هؤلاء الأعراب لهم طرق غريبة للحياة وفعل ما يحلو لهم بعيدا عن أعين الأمن!

كان شيطاني يسول لي أن أخرج من السيارة في أقرب كمين أمني يستوقفنا في الطريق، ولكن خاب أملي حين رأيت الوسيلة التي ستعيدني إلى القاهرة!

كان في الحظيرة سيارة نصف نقل محملة بالطوب الأسمنتي، وهناك فجوة بين قوالب الطوب فرشت بقش الأرز تتسع لعدة أشخاص هي التي وضعوني فيها وأغلقوا الفجوة ببقية من قوالب الطوب، حتى إذا استوقفهم أي كمين أمني على طريق العودة لن يجدوا غير سيارة بريئة المظهر محملة بالطوب ولن يكتشفوا الفجوة بداخلها على الإطلاق إلا إذا أفرغوا الحمولة، وقلما تتكبد الشرطة هذه المشقة!

* * *

لا أنكر صراحة أنني قد شعرت بانجذاب غريب تجاه رشاد البسيوني، كل ما قاله على الرغم من استحالة تصديقه إلا إنني أجد نفسي في نهاية الأمر لا أملك تكذيبه، بل أميل كثيرا لتصديقه!

لن ينجو رشاد البسيوني بالطبع من حبل المشنقة أو تصفيته بدون تحقيق أو محاكمة إن أفلت من معتقل مجدي هاشم اللعين.

أدون كل ما سمعت منه ولم أستقر حقيقة هل أنشر هذا الكلام في سلسلة مقالات أم أبدأ في إعداد رواية خيال علمي أحقق بها أعلى المبيعات وتترجم لجميع لغات العالم عملا بنصيحة اللعين مجدي هاشم وقد أحصل بها على جائزة نوبل

في الآداب خلفا لنجيب محفوظ أو على الأقل أحصل على جائزة البوكر العربية!

أميل كثيرا للرأي الثاني وبخاصة أن الجميع سيعتبر ما أكتبه من مقالات محض هراء بالفعل، ولكن ما يثير ريبتي وشكوكي في هذه اللحظة هو شخص واحد فقط . . ذلك المدعو صابر الذي أدعى كذبا حين قابلني أنه أحد جيران عائلة رشاد البسيوني بالإسكندرية!

من هو ذلك الرجل؟!

لِمَ يكذب عليّ؟!

من أين جاء برقم هاتفي؟!

لابد من مقابلة هذا الرجل ثانية حتى أتمكن من وضع نقطة النهاية لآخر سطر في هذه الأحداث التي مررت بها، هذا الرجل صابر لابد أنه لديه إجابات كثيرة لاسئلة أكثر!

هاني رمزي

* * *

- السلام عليكم . . عم صابر؟!

- أستاذ هاني، أهلا وسهلا . .

أتى صوت سعيد الفقي في لهفة من الجانب الآخر، وقد رد على هاني رمزي فور اتصاله. .

-محتاجين نتقابل، عندي معلومات مهمة بخصوص رشاد البسيوني.

opeikan.com

-تحت أمرك يا هاني باشا، نتقابل في الحال.

-في الحال؟! . . أنا فاكر أن حضرتك يا عم صابر قلت لي إنك من إسكندرية!

قالها هاني رمزي في مكر، فشعر سعيد الفقي بالصفعة تهوي على قفاه وقد أعماه تسرعه عن حذره . .

-لا يا أستاذ هاني، أنا في القاهرة حاليا.

-طيب، الوقت متأخر، ممكن نتقابل الصبح؟!

-أستاذ هاني أرجوك، أنا مسافر إسكندرية الصبح والله.

-خلاص يبقى نتقابل عند مستشفى النيل في شبرا الخيمة، أنا سأجيء لك بنفسي، لا أريد أن أتعبك، السلام عليكم.

أنهى هاني رمزي اتصاله دون انتظار تعقيب أو رد لسلام، فشعر سعيد الفقي بالصفعة الثانية تهوي على قفاه . . من أين عرف هاني رمزي أنه من شبرا الخيمة!

لم يكن هاني رمزي على الجانب الآخر متأكدا من كون صابر/ سعيد الفقي يسكن في شبرا الخيمة بالفعل أم لا، ولا يدري ما الذي دفعه لهذا الظن في هذا التوقيت، ولكنه هاجس ألح عليه في حينها وقد نشأ من عدم، ولم يشعر به إلا مترجما بكلمات حدث بها صابر/سعيد الفقي!

* * *

- محمود بيه، أتمنى معاليك تكون بخير، أنا هاني رمزي يا باشا.

obeikan.com

- خيرا يا هاني، قررت تتكلم أخيرا!؟

سأله محمود الدمرداش عبر الهاتف باهتمام وقد أحس بأن لقاءه به قد أتى بثماره، ودفع هاني رمزي للتعاون.

-إن شاء الله خير يا محمود بيه، سأكون عند معاليك في المركز بعد ساعتين بالضبط، أكون رجعت من سفري.

-في انتظارك . .

لا يعلم هاني رمزي أيضا ما الذي دفعه للاتصال بمحمود الدمرداش بعد أن أنهى اتصاله مع صابر/ سعيد الفقي، في لحظة تسرع قرر أن عليه أن يحكي كل شيء لمحمود الدمرداش ما دام قد قرر ألا ينفرد بنشر حكاية الغريب رشاد البسيوني على صفحات جريدته، سيخبره بكل شيء ويترك التصديق من عدمه لمحمود الدمرداش.

* * *

لم ينتظر هاني رمزي كثيرا أمام مستشفى النيل للتأمين الصحي حين أبصر صابر/ سعيد الفقي قادما وسط الزحام فوق دراجة بخارية (موتوسيكل) كادت تختفي تماما أسفل طيات جسده المترهل وكرشه المتدلي والمستلقي في استرخاء فوق خزان الوقود.

فيل إفريقي يجلس فوق دراجة طفل لم يتعد الخمس سنوات!

-اركب ورائي يا أستاذ هاني نروح نتكلم في أي مكان هاديء.

obeikan.com

رغم مخاوف هاني رمزي وشكوكه تجاه هذا الرجل، لم يكن يملك خيارا آخر فركب خلفه حاملا فضوله وشكوكه وانطلق سعيد الفقي وهاني رمـزي إلى وجهتهما التي لا يعرفها سوى الأول.

* * *

- أنا عرفت أنك لست من جيران عائلة رشاد البسيوني، كنت تكذب.

- مضبوط.

فاجأ سعيد الفقي هاني رمزي بجوابه غير المتوقع بعدما قرر أن يتخلى تماما عن اللف والدوران مضيعا الفرصة على هاني رمزي كي لا يفكر في ابتزازه.

* * *

- تخيل رشاد البسيوني يقول كلام غريب جدا عن نفسه!، يقول أنه مخلوق فضائي!

رمى هاني رمزي جملته في سخرية وخبث بعدما قرر أن يكشف جميع أوراق لعبه.

-صدّقه، كلنا نعيش في فضاء الكون فعليا.

رد سعيد الفقي في غموض!

* * *

-وأنت قابلته في أي مكان بالضبط ؟!

obeikan.com

سأل سعيد الفقي وقد بدت الجدية على ملامحه ويمينه تصوب مسدسا تجاه هاني رمزي الذي وقف منتصبا في شجاعة على بعد متر واحد من سعيد الفقي وسط منطقة لا يُسمع فيها صوت صريخ طفل ابن يومين!

-لن يهمك المكان في شيء . . هو ميت حاليا على أي حال.

* * *

-من غيرك يعرف بما قاله رشاد البسيوني؟!

سأله سعيد الفقي في غضب مقطبا جبينه.

-كثيرون يعرفون، ولا أعرف واحدا منهم، أعتقد في وجود الفيس بوك مصر كلها عرفت بالموضوع حاليا، لكن يهمني أنا أن أعرف قصتك أنت . .

قالها هاني رمزي وقد بدت له نهايته الحتمية على يد هذا الرجل، ليس لديه خيار آخر غير الموت برصاصاته، لن يتركه هذا الرجل يرحل ليحدث ضجة حوله، ولم يهتم هاني رمزي في لحظاته الأخيرة إلا بمعرفة الحقيقة كي يشعر أن لموته ثمنا يواسيه ويخفف عنه في لحظات احتضاره التي لا يعرف أتصبح قصيرة أم ستطول، تلك المرة الأولى التي يجرب فيها الموت رميا بالرصاص!

-من حقك تعرف أكيد . .

قالها سعيد الفقي غاضبا حانقا ساخطا لاعنا اليوم الذي قرر فيه أن يسلّط فتحي السلاموني على رشاد البسيوني!

* * *

obeikan.com

"الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقا، برجاء محاولة الاتصال في وقت لاحق"

حاول محمود الدمرداش الاتصال بهاني رمزي عشرات المرات ولكنه في كل مرة كان يجد هاتفه مغلقا، يكاد يجن من شدة الغضب من هذا الصحفي الشاب الذي يتجاهله متلاعبا بأعصابه وأقسم ليفتكن به حين يلقاه.

* * *

"إنا لله وإنا إليه راجعون"

بخالص الأسى والحزن تنعي أسرة تحرير جريدة الشعب اليوم وجميع العاملين شهيد الصحافة وفارس الكلمة الزميل الراحل هاني رمزي.

* * *

ظلت الصحف ليومين متتالين تتحدث عن الصحفي الشاب هاني رمزي الذي لقه مصرعه برصاص أحد البلطجية وقد وجدت الشرطة جثته ملقاة في أحد الحقول بجوار قضبان السكة الحديد في إحدى القرى على طريق مصر إسكندرية الزراعي بالقرب من قليوب بعدما أبلغ عن اكتشافها أهالي القرية.

تعددت الأقاويل عبر مقالات النعي والرثاء وعبر الأخبار المنشورة ورقيا وإلكترونيا عن سبب مقتل الصحفي الشاب، أحدهم يلقي باللوم على الانفلات الأمني وانشغال الأمن بملاحقة الإخوان المسلمين وترك البلطجية وقطاع الطرق يفعلون ما يحلو لهم ويرتعون ويلعبون ويروعون الآمنين ويفسدون في أرض

Openkan.com

هذه البلاد دون خوف أو رهبة من عقاب، وآخرون يؤكدون أنه كان يسعى وراء خبر هام كان سيتسبب في إدانة إحدى الجهات الأمنية فسارعت بقتله، البعض يقسمون بأغلظ الإيمان أن الجماعة المحظورة هي من اغتالته على الرغم من أنه لم يسبق له نشر أي أخبار عنهم!

أقيمت له جنازة مهيبة بمسقط رأسه ببجيرم وقد تضاعف أعداد المشيعين لجنازته محاولين التكدس في نطاق عدسات المصورين، وأقامت الجريدة له عزاءً بمسجد عمر مكرم حضرها كثيرون من رجال الصحافة والشخصيات الإعلامية من ذوي الثقل وشخصيات عامة لم يكن هاني رمـزي يحلم يوما بمصافحتهم.

* * *

كان الحزن يخيم على الشقة التي تقاسمها هاني رمزي مع صديقيه حسام عبد المعطي ومعاذ عبد الجليل، وإن كان النصيب الأكبر من الحزن من نصيب حسام عبد المعطي الذي تقاسم طعامه وتبغه ونزواته كثيرا مع هاني رمزي، فأعلن حداده الشخصي على صديقه الراحل مبتعدا عن ممارسة الجنس مع الرقيعات العاهرات اللاتي يضاجعهن واكتفي بالحشيش والبيرة!

وبينما هو يتشاطر أحزانه مع حشيشه وبيرته سمع طرقا على باب الشقة، وعندما فتح الباب وجد في مواجهته محمود الدمرداش!

كان حسام عبد المعطي يعتقد حتى هذه اللحظة أن محمود الدمرداش أحد معارف هاني رمـزي، ولـذا وافـق بغير وعـي حين استأذنه في الإطـلاع على

حاجيات هاني رمزي الشخصية علّه يتوصل لشيء يدلّه على قاتله، كان حسام عبد المعطي حينها مغيب الوعي فلم يناقش محمود الدمرادش في طلبه وتركه ليفتح له زجاجة بيرة كواجب للضيافة!

* * *

وسط سحب متكاثره من دخان سجائره تكاد تتكاثف ممطرة على رأسه قطرانا، انهمك محمود الدمرداش في قراءة الأوراق التي وجدها في غرفة هاني رمزي، كان يشعر بدمائه كلها تحتشد في رأسه وهو يعيد قراءة كلمات هاني رمزي الأخيرة مرة ثانية وثالثة ورابعة حتى يستوعب هل كان هاني رمزي حينها يهذي أم يحلم أم يتحدث عن واقع!

المجنون وحده من يصدق ما بهذه الأوراق!

محمود الدمرداش لم يكن حتى هذه اللحظة مجنونا!، ولكن بين يديه أوراق قتيل تتحدث عن شخصين أحدهما أستاذ جامعي والآخر مجهول الهوية، والأخير هو آخر من قابل هاني رمزي!

عليه أن يتأكد من صحة هذه المعلومات قبل أن يتحرك بشكل رسمي حتى لا يصبح هدفا لسخرية قياداته من رجال الداخلية!

أخذ الأحراز التي وجدوها في شقة رشاد البسيوني والتي يحتفظ بها في مكتبه لعدم وجود قضية من الأساس والتي حاول تشغيلها مرات عديدة وفشل، وأوراق هاني رمزي ليتوجه صباحا لمجدي هاشم في مكتبه بالكلية.

* * *

obeikan.com

لا يحب مجدي هاشم أن يكون محاطا بشكوك، ولم ينزعج يوما قدر انزعاجه حين علم أن أحد الضباط بالداخلية قد سأل عنه في الكلية وفي مسكنه!، أخبره حارس العمارة التي يسكن بها في القاهرة أن ضابطا يدعى محمود الدمرداش قد سأل عنه، وما أثار حنقه أكثر هو ذلك الاتصال من آخر قائد حرس لكلية العلوم بجامعة القاهرة قبل طرد الحرس الجامعي لخارج أسوار الجامعة، والذي أخبره أن زميلا بالشرطة قد سأله عنه وقد تحدث عنه بكل خير ولكنه لم يعطه رقمه، يكره مجدي هاشم بشدة أن يكون قطعة لحم عفنة يتكاثر عليها الذباب!

يكره مجدي هاشم بشدة الذباب!

* * *

شعر سعيد الفقي بالخطر حين وجد أن آخر اتصال مسجل على هاتف هاني رمزي كان لرقم مسجل باسم "نقيب محمود. شبرا.خيمة" !

ماذا قد يكون قاله هذا الشاب للضابط ؟! . . وأي خطر يهدد سعيد الفقي الذي نجا بأعجوبة من الموت على يد محمود الدمرداش من قبل!

* * *

خبر عاجل

استشهاد ضابط شرطة أثناء خروجه من منزله على أثر انفجار قنبلة بدائية الصنع وضعت أسفل سيارته ضمن سلسلة من التفجيرات التي تستهدف رجال الجيش والشرطة، حيث استشهد النقيب محمود الدمرداش أثناء . . .

* * *

obeikan.com

اكتشافات علمية جديدة سوف تهز العالم

"وجه الأستاذ الدكتور مجدي هاشم الدعوة لوسائل الصحافة والإعلام لحضور مؤتمر صحفي علمي عالمي بفندق فيرمونت، وقد أكد أن ما سينشره في المؤتمر من أوراق علمية صادمة سوف تغير خريطة المستقبل وتهدم كثيرا من الثوابت العلمية لدى الجميع، والدكتور مجدي هاشم واحد من العلماء المصريين الذين . . . "

* * *

- أنت حي ؟!

سأل هاني رمزي رشاد البسيوني بفرحة حقيقة وهو يراه أمامه جالسا على المنضدة في ذات الغرفة التي قابله بها مسبقا.

- أيامي معدودة يا هاني، مجدي هاشم سيقتلني بالتأكيد بعدما يكتشف أنه لم يعد في حاجة إليّ وليس لدي ما أقوله، لست شهرزاد وليس هو شهريار لأحاول إطالة الوقت معه آملا أن يقع في حبي فلا يقتلني.

- ما دام سيقتلك، لماذا تخبره بما يريد؟!

- اعتبره من باب العلم الذي ينتفع به، قلت لك في آخر مرة أنه ربما يكون هناك حكمة إلهية أن أقابله مرة ثانية وأنفذ وعدي.

- ولكنه سيقتلك.

- في كل الأحوال سأموت يا هاني، وبصراحة مهمتى أعتبرها قد انتهت، وأنا

obeikan.com

بالمناسبة لست الوحيد.

اندهش هاني رمزي من قول رشاد البسيوني الذي تابع . .

- نعم لست الوحيد، رفاقي لم يموتوا مثلما أخبرت مجدي هاشم، هم لا زالوا أحياء وهم في بلادهم في مناصب رسمية وأكاديمية رفيعة المستوى، تكفل لهم نفوذا واطلاعا ومالا وفيرا.

صعق هاني رمزي من قول رشاد البسيوني محدقا فيه ببلاهة . . ولكن رشاد البسيوني تابع في ود . .

- أعرف أن الأمر عسير التصديق عليك، ولكن تلك الحقيقة التي لم أشأ أن أخبر بها مجدي هاشم خوفا على حياة رفاقي، هو حلال فيه أن أخدعه، ولكني أحببت أن أخبرك باقي الحقيقة باعتبارك صديقي الذي سأفتقد نقاءه وطيبته.

وحكى رشاد البسيوني بقية تفاصيله التي لم يرد أخبار هاني رمزي بها أمام مجدي هاشم، والتي كان أهمها قاعدة الإرسال والاستقبال الرئيسية الموجودة بمكان ما في صحراء مصر الغربية!

وعندما انتهى رشاد البسيوني، فوجيء هاني رمزي باختفاء رشاد البسيوني والغرفة وكل شيء حين فتح عينيه ليجد نفسه نائما في الحافلة وسط عرقه الذي أغرقه في طريقه لشبرا الخيمة لمقابلة صابر/ سعيد الفقي.

* * *

obeikan.com

" أي احتمال لخطر قد زال مع مقتل الغريب، آن لنا أن نطمئن بعد سنوات من تتبعه منذ التقاطي لأول إشارة من هذه المنطقة لموطنه منذ عشرة سنوات بتوقيتهم، سنوات مضت للتأكد أنه وحده وما من أحد غيره، سنوات طويلة مضت حتى نجحت في تحديد الشخص واكتشافه والتأكد من ذلك، لم يتمكن أحد من اكتشاف أي شيء بشأني، ولكن يجب تعجيل موعد قدومكم، فلم نعد وحدنا المهتمين بهذا الكوكب".

ضغط سعيد الفقي ذر الإرسال وسرق من هواء الأرض شهيقا عميقا ثم زفره ببطء في ارتياح.

تمت بحمد الله

opeikan.com

شكر واجب

قلبي وسندي/ ريم بيومي

دكتور عيد إبراهيم . . فلولاه لتوقفت قبل أن أبدأ

أ.د. إبراهيم بشطر

أ.د. محمد بركة

أ. أحمد الديب

أ. إبراهيم رياض

أ. محمد علي حسن

الصديق/ محمود الديباوي

مهندس/ محمد مجدي

أ. محمد صيام

مهندس/ محمود زويل

obeikan.com

للاطلاع على أحدث إصدارات مؤسسة إبداع

يرجى زيارة الموقع الإلكتروني

www.prints.ibda3-tp.com

obeikan.com